وليم شكسبير

حلم ليلة صيف

ترجمة وتقديم

د. محمد عناني

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الإخراج الفنى والغلاف

امـيمة علـى أحـمـد

حلم ليلة صيف

المقدمة

هذه هى المسرحية الشيكسبيرية الثالثة التى أقدمها مترجمة فى هذه السلسلة الى القارىء العربى بعد **تاجر البندقية** (١٩٨٨) **ويوليوس قيصر** (١٩٩١) وكان قد سبق لى أن ترجمتها لأول مرة وأنا بعد فى بداية حياتى الأدبية ونشرتها فى مجلة **المسرح** الأولى (ابريل ١٩٦٤) ثم أعدت نشرها مع مقدمة قصيرة فى مجلة المسرح الثانية (سبتمبر ١٩٨٢) ، ولم أعد اليها الا فى هذا العام (١٩٩١) حيث عكفت على مراجعتها مراجعة دقيقة ، وبذلت فى ذلك جهداً كبيراً لا فى تصحيح ما ظهر من أخطاء فحسب (سواء فى تفسير بعض المعانى أم فى الصياغة) بل فى التقريب بين روح النص الأصلى الذى يجمع بين الشعر والنثر ، وبين الترجمة التى خرجت تجمع هى الأخرى بين الشعر والنثر ، ملتزما فى النص الجديد بالنظم والقافية حين يقدم شكسبير « أغانى » منظومة مقفاة ، وبالنظم دون القافية أو بالنثر حين يستخدم شكسبير النظم الخالى من القافية أو النثر ، ابتغاء الأمانة فى تقديم نص شاعر الانجليزية الأكبر إلى قارىء العربية .

وليأذن لى القارىء ألا أخوض فى مشكلات الترجمة قدر ما فعلت فى مقدمة الترجمتين السابقتين لأن لى كتابا فى هذا المجال هو فن الترجمة (دار لونجمان — ١٩٩٢) وهو يتناول مشكلات الترجمة بصفة عامة وترجمة الشعر بصفة خاصة ، واليه أحيل من يود الاستزادة فى هذا الباب . كما أرجو أن يغفر لى

القارىء عدم تعرضى للترجمة الوحيدة الأخرى لهذا النص ، وهى التى أخرجها حسن محمود فى مشروع ترجمة مؤلفات شيكسبير الذى نهضت به الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وليرجع إليها من شاء فهى ، حسبما أعلم ، متوافرة فى المكتبات الكبرى وإن كنت استعرت النسخة التى اطلعت عليها من صديقى الدكتور ماهر شفيق فريد ، الكاتب والناقد والدارس ، الذى أركن اليه فى كل ما يشغلنى من مسائل الأدب الانجليزى والأدب العربى جميعا . وقد رأيت فى الطبعة التى أعارنى إياها تاريخ إيداعها بدار الكتب وهو عام **١٩٦٧** أى أنها طبعت بعد ترجمتى الأولى (**١٩٦٤**) للمسرحية وأن كنت أذكر أننى رأيت طبعة لها سابقة على هذا التاريخ .

وسوف أقتصر فى مقدمتى هذه على مشكلات ترجمة اللغة الخاصة التى يستخدمها شكسبير فى هذه المسرحية بمستوياتها الثلاثة ــ مستوى النظم النمطى ، ومستوى النثر ، ومستوى الشعر ــ فهى مشكلات تزداد أهميتها فى نطاق الدراسات الشيكسبيرية منذ الخمسينيات ، وبالتحديد منذ أن بدأت الدراسات اللغوية تشتبك اشتباكاً وثيقاً مع الدراسات النقدية . وكان أهم من أشار إلى المستوى الأول ــ أى مستوى النظم النمطى ــ هو البروفسور كليمن (الذى سنعود إليه فيما بعد) فى مقدمته لطبعة **السيجنت** من النص (**١٩٦٣**) حين دافع عنه قائلا :

واذا كان أسلوب . . . الحوار وصياغة النظم ، كثيراً ما يبدو بارداً بالياً بل وسخيفاً سُخْفاً صريحاً ، فلا يعنى ذلك أن شيكسبير كان يفتقر إلى المهارة ، ولا هو يبرر الزعم بأن المسرحية تتضمن فقرات تنتمى لصورة أولى من صور المسرحية ، ولكنه يدل على أن شيكسبير تعمد تصوير العشاق الأربعة فى صورهم الحالية هنا ــ أى أن مقصده كان إخراجهم فى صورة دمى متحركة لا فى صورة

شخصيات محققة بصورة كاملة . بل إن المشاهد الذى يتابع أحداث الاختلاط فى الغابة سرعان ما تضيع من يده خيوط الحبكة فلا يعرف مَنْ مِنَ العشاق يهوى صاحبه !

(المقدمة ــ ص ٣٠)

والواقع أن اللغة النمطية هذه غريبة فى شكسبير الذى نعرفه ، ولكنها ليست غريبة على اللغة العربية ، فتراث العربية يماثل تراث اللاتينية الذى أمد شكسبير بشتى الحيل البلاغية التى استخدمها فى النص ، وهذه هى البلاغة الشكلية التى يقول والتر دى لامير (الشاعر) وجون دوفر ويلسون (الناقد) إنها غير مألوفة فى شكيسبير وأقل منزلة من ألوان البلاغة الأخرى التى استحدثها فى مسرحياته الكبرى . وقد برز الاتجاه النقدى الجديد الذى يهدف إلى إقرار التبرير الفنى لهذه البلاغة الشكلية منذ الخمسينيات وحتى نهاية الثمانينيات ، وسوف أورد نموذجين موجزين لهذا الاتجاه ، الأول هو قول جلاديس ويلكوك فى دراسة لها بعنوان « شكسبير واللغة الإنجليزية فى العصر الإليزابيثى » ، (ونشرتها فى دورية من أهم الدوريات المتخصصة هى **دراسات شكسبيرية** عام ١٩٥٤) إن اللغة فى عصر شيكسبير كانت تمثل المدخل الرئيسى الى الفن ، وهو مدخل يسعى الى « التوحيد بين القضايا الخطيرة ، بل والعواطف من ناحية وبين الصنعة الصريحة واللعب بالالفاظ من ناحية أخرى » (العدد رقم ٧ ، صفحة ١٦ وما بعدها) . وتضيف قائلة إن تلك المرحلة من مراحل التطور الأسلوبى لشكسبير تميزت باستخدام اللغة « الشديدة النمطية فى السياقات العاطفية » بحيث تكتسى المشاعر الجياشة مثل الاحتقار الشديد أو الاستياء البالغ تعبيراتٍ بلاغيةً نمطية . (نفس المرجع) .

وبعد ذلك بما يقرب من ربع قرن عادت إحدى دراسات شكسبير فى كتاب بالغ الأهمية الى نفس الفكرة ، إذ ذكرت مادلين دوران فى كتابها **لغة شيكسبير الدرامية** الصادر عام ١٩٧٦ أن اللغة النمطية تستخدم للتعبير عن الحب (ص ١١) قائلة :

« إن الشباب هم الذين تجرفهم مشاعرهم إلى استخدام الأنماط البلاغية . . فالشبان والشابات تتميز لغتهم بالصنعة الواضحة ، وهم يلجأون إلى الصنعة لا لأنهم يفتقرون إلى المشاعر بل لأنهم يجيشون بها » .

ويتعرض هارولد بروكس فى تقديمة لطبعة آردن من المسرحية لهذه الأنماط البلاغية ، ويُعددها مشيراً إلى أن شكيسبير كان على وعى كامل بتراث البلاغة اللاتينية ، وسواء وافقناه أم اختلفنا معه فالنص يمثل بعض المشكلات للمترجم التى لابد من حلها ، إذ أن التراكيب البلاغية المذكورة Rhetorical Schemes تختلف عن المحسنات المألوفة لدينا فى علوم البيان والبديع والمعانى لدى العرب لسبب واضح وهو أن اللغة الانجليزية لغة غير معربة وتعتمد على ترتيب الكلمات فى الجملة لإخراج المعنى ، بينما تتمتع العربية ، مثل اللاتينية ، بحرية أكبر فى البناء ، ومن ثم فقد يتعذر التقابل بين التراكيب البلاغية فى اللغتين . وقد أورد بعضها الدكتور مجدى وهبة فى **معجم مصطلحات الأدب** ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤ ، وحاول ترجمتها أو إيراد المقابل لها بالعربية ، وسوف أقدم للقارىء العربى فيما يلى نماذج محدودة للتراكيب البلاغية فى هذه المسرحية مما يدخل جميعا فى إطار **التكرار** .

وأول هذه الأنماط أو التراكيب البلاغية فى إطار التكرار هو ما يسمى epizeuxis أى التكرار المباشر ، ويعنى تكرار اللفظة مباشرة فى نفس العبارة ودون

فاصل ، كقول هيلينا :

Is't not enough, is't not enough, young man

(II. ii. 124)

وكقول إيجيوس :

Enough, enough, my lord, you have enough!
I beg the law, the law upon his head!
They woud have stol'n away, they would, Demetrius!

(IV. i. 153- 155)

فترجمة هذا النمط يسيرة ، ويمكن أن يقدم المترجم المثيل التراكيبى Syntactic equivalent دون أن يخسر شيئا بل ودون أن يكسب شيئا ، إذ أن التكـرار هنا ليست له قيمة كبرى فى البلاغة العربية ، فهو مجرد توكيد لفظى ولـده الموقف الدرامى ، وكثيراً ما يلجأ إليه الممثلون إذا اقتضى الأمر ودون الاستناد إلى التكرار الوارد فى نص المؤلف :

أفلا يكفى ، أفلا يكفى أيها الشاب . . .

(٢ ـ ٢ ـ ١٢٤)

يكفى يكفى يا مولاى ! لقد سمعت ما يكفى !
أطالب بالقانون . بالقانون على رأسه !
(أطالب بتطبيق القانون عليه !)
كانا يريدان الفرار ! الفرار يا ديمتريوس !

(٤ ـ ١ ـ ١٥٣)

ولذلك فقد آثرت الانصياع لمقتضيات النص العربى فى هذه الأحوال ، إذ اكتفت بـ (ألا يكفى) واحدة فى السطر ١٢٤ (٢ ـ ٢) ، وأبقيت على التكرار

فى السطر ١٥٣ (٤ ــ ١) وفى السطر ١٥٥ (٤ - ١) بينما حذفته فى السطر ١٥٤ (٤ ــ١) كما هو واضح فى النص المترجم .

وينتمى إلى نفس النوع أيضا تكرار الكلمة أو العبارة مع فاصل بينهما وهو ما يسمى (Ploce) ومن نماذجه :

Confounding oath on oath

III. ii. 93

truth kills truth

III. ii. 129

و « الحلاوة » كما يقول أحد كبار نقاد شكسبير التى تكتسبها مثل هذه التراكيب ليس مصدرها التكرار كما يذهب الى ذلك أرباب البلاغة القديمة ، بل جمال الجرس الذى تؤكده الحيل العروضية ــ فالجمال الصوتى فى التعبير الأول (Phonological) مصدره تتابع حرف العلة وحرف النون الساكن فى إيقاع شعرى منتظم لا زحاف فيه

Con/ foun/ ding/oath/ on/oath/

أى أن التكرار هنا وظيفته صوتية محضة ، والبيت الكامل هو :

A million fail, confounding oath on oath !

ومن ثَمَّ فعلى المترجم إما أن يجد المماثل الصوتى فيتجاهل التكرار :

يخون مليون محب ، ويحنثون فى أيمانهم !

أو أن يحاكى التكرار فى العربية .

وقس على ذلك المثال الآخر ، فإن جماله ينبع من صيغة المفارقة فيه ، وترجمته الحرفية « عندما يقتل الإخلاص الاخلاص » وبقية البيت تؤكد هذه المفارقة .

When truth kills truth, O develish - holy fray!

III. ii. 129

والأفضل فى هذه الحالة توصيل المعنى إلى القارىء ، وإلى مُشاهد المسرحية الذى يريد أن يفهم ما يقال ، بدلاً من الاتكاء على بدائع الصيغ البلاغية وحدها :

عندما يقتل إخلاصك لفتاة إخلاصَك لأخرى
فإن الصراع شيطانى ومقدس فى نفس الوقت !

وهذه المفارقة (أو التناقض الظاهرى) من الحيل البلاغية أيضا **Oxymoron** (الإرداف الخلفى ــ وهبة) ولذلك فالترجمة تحافظ عليها حتى ولو ضحت بالصورة المضغوطة للعبارة الأصلية ابتغاء الايضاح .

أما النوع الثانى من التكرار فهو التكرار فى البداية والنهاية ، وهو من أبواب أربعة ــ فالأول أن يبدأ السطر وينتهى بنفس الكلمة Epanolepsis

Weigh oath with oath, and you will nothing weigh!

ومن المحال إخراج ذلك بنفس الصورة ، بسبب اختلاف التراكيب ما بين اللغتين ، وبسبب تغير صورة الفعل المضارع فى العربية عنه فى صيغة الأمر بينما تتفق الصيغتان فى الانجليزية ، ولذلك فقد يُستحسن فى هذه الحالة إيراد المقابل بدلاً من المثيل :

لا تَضَعْ فى المِيزانِ قَسَماً أمام قَسَمْ
والا كنت تَزِنُ العَدَمْ !

والباب الثانى هو الانتهاء بنفس الكلمة فى شطرين أو سطرين متعاقبين epistrophe ولنأخذ نماذج له من الفصل الثانى ، المشهد الأول ، فأما النموذج الأول فهو عسيرٌ فى ترجمته : ـ

I love thee not, therefore pursue me not,

II. i. 188

قلت لك لا تطارديني ، فأنا لا أحبك !

وأما النموذج الثانى فيتضمن صعوبات أخرى منها التورية فى كلمة Wood

Thou told'st me they were stol'n into this wood;
And here am I, and wood within this wood...

II. i. 191- 192

والباب الثالث هو أن تكون آخر كلمة فى السطر بداية لسطر جديد ، وهو ما يسمى anadiplosis ـ ففى الفصل الثانى تكون آخر كلمات هيلينا هى : (II. ii. 109- 110) :

... then be content

فيرد ليساندر قائلا

- Content With Hermia?

وهنا لابد من التغيير أيضا :

. . ولك اذن أن تسعد !

ـ أسعد بهيرميا ؟

والباب الرابع هو تماثل بدايات السطور المتعاقبة anaphora

وهذا أيضا مما تصعب المضاهاة فيه بين اللغتين :

Hermia : By Cupid's strongest bow,
By his best arrow with the golden head,
By the simplicity of Venus' doves,
By that which knitteth souls and prospers lovers,

(I. i. 169- ff)

أقسم لك بأقوى أقواس كيوبيد
وأفضل سهامه ذى النصل الذهبى
وبراءة حمامات فينوس
وبالقوة التى تربط الأرواح وتُسعد الأحبه . . .

ويلاحظ فى المثال الأخير تساوى طول السطور الثلاثة الأخيرة (isocolon) وهذا أيضا من الأنماط البلاغية القديمة ، ولها ما يوازيها فى العربية ، ولذلك فقد كان من الأيسر إخراجه ، وإن ضحى النص هنا بتماثل البدايات فلم يأت بحرف الباء (باء القسم) فى بداية كل سطر ، ولا أقول بالقسم نفسه .

أمـا النوع الثـالث فهو التكـرار مع عكس بنـاء الجملة أى عكس ترتيب الكلمات فى السطر واسمه antimetabole (العكس ــ وهبة) ومثله البيت الثانى من البيتين التاليين :

Of thy misprision must perforce ensue
Some true love turn'd, and not a false turn'd true.

(III. ii. 90- 91)

وسوف يؤدى خطؤك ولا شك

إلى خيانة حبيب مخلص ، لا إلى إخلاص حبيب خائن

ومثله أيضا البيتان التاليان :

Hermia: I would my father look'd but with my eyes

Theseus: Rather your eyes must with his judgment look

(I. i. 56- 57)

هيرميا ــ ليت والدى ينظر بعينى
ثيسيوس ــ بل الأحرى أن تنظر عيناك بحكمته !

والنوع الرابع هو التوازى أو المقابلة بين الكلمات Parison سواء كان ذلك فى إطار التماثل فى الطول (isocolon) أم من غيره ، وأول نماذجه وأشهرها هو قول هيلينا :

You both are rivals, and love Hermia;

And now both rivals to mock Helena.

(III. ii. 155- 156)

إنكما تتنافسان فى حب هيرميا
وتتنافسان الآن فى السخرية من هيلينا

ومن غير التساوى فى الطول نجد هذا المثال الأشهر :

Demetrius ... But I shall do thee mischief in the wood.

Helena- Ay, in the temple, in the town, the field,

You do me mischief.

II. ii. 237- 239

ديمتريوس ــ سأوذيك فى الغابة !

هيلينا ــ نعم ! انك لتؤذينى فى المعبد ، وفى المدينة ، وفى الخلاء !

والنوع الخامس هو تكرار جذر الكلمة دون معناها ، أو تكرار صورة من الصور النحوية أو الصرفية للكلمة (واسمه Polyptoton) (جناس الاشتقاق ــ وهبة) بحيث تومئ الثانية إلى الأولى وهذا النوع يصعب إخراجه فى العربية بصورته الانجليزية ، وإن كانت بعض أشكاله ممكنه مثل :

I follow'd fast, but faster he did fly

III. ii- 414

أسرعت فى أثره ، ولكنه كان أسرع فى فراره !

وتنتمى إلى هذا النوع فئة من فئات التورية هى الـ **Paronomasia** إذ تكون الكلمة الثانية مشتركة فى الجذر مع الأولى وإن اختلف معناها :

For lying so, Hermia, I do not lie

II. ii. 51.

والتورية ، بصفة عامة ، من أعسر ما يتعرض له المترجم :

لأننى حين أرقد إلى جوارك يا هيرميا
لن أخون ثقتك !

أو تكون الكلمة الثانية ذات دلالة استعارية :

The one I'll slay, the other slayeth me!

(II. i. 190)

سأقتل أحدهما ، وتقتلنى الأخرى !

وأعتقد أن هذه النماذج تكفى لإيضاح صعوبات المضاهاة بين التراكيب البلاغية الإنجليزية والتراكيب البلاغية العربية ، ولكن الصعوبات تمتد أيضا إلى الحيل البلاغية الأخرى التى ربما كانت أكثر شيوعا فى اللغات الأوربية الحديثة بسبب ارتباطها بالدراما وهو الفن الذى لم يشتهر العرب بممارسته ، فمثلاً نجد حيلة بلاغية اسمها Stichomythia (التناشد المسرحى — وهبة) شائعة فى شيكسبير وهى فى أصولها يونانية قديمة ، ومعناها إدارة الحوار بين شخصيتين فى سطور منفصلة ، خصوصاً فى لحظات الخلاف الشديدة ، وتتسم بالطباق وأنواع التكرار البلاغى الذى سبقت الإشارة إليه . وهذه الحيلة تختلف عما يسمى فى الدراما الحديثة repartee وهى فنون الحوار السريعة التى تعتمد على حضور البديهة wit والتى تشيع فى أنواع معينة من الفنون الدرامية . وليست هذه أو تلك مما يناسب المواقف الشاعرية أو الغنائية أو العاطفية ، ولكن شيكسبير يستخدمها هنا مما يدل على ولعه بالحيلة نفسها من حيث هى حيلة بلاغية :

Her: I frown upon him; yet he loves me still

Hel: O that your frowns would teach my smiles such skills!

Her: I give him curses; yet he gives me love

Hel: O that my prayers could such affection move!

Her: The more I hate, the more he follows me.

Hel: The more I love, the more he hateth me.

Her: His folly, Helena, is no fault of mine.

Hel: None but your beauty; would that fault be mine!

(I. i. 194- 201)

هيرما — إنى أعبس فيزيد غراماً

هيلينا ــ آه لو تتعلم بسماتى سحر عبوسك
هيرميا ــ إنى أشتمه فأنال الحب
هيلينا ــ آه لو بعثت بعض ضراعاتى هذا الحب
هيرمينا ــ أزداد كراهية فتزيد ملاحقته
هيلينا ــ أزداد غراماً فتزيد كراهيته
هيرميا ــ لست المسئولة يا هلينا عن هذا الحمق
هيلينا ــ لا ذنب لديك سوى حسنك !
أتمنى أن أحمل ذنبك !

والواضح هنا أن جوهر الحوار السريع يمكن تقديمه فى الترجمة دون أن يجور المترجم كثيراً على الحيل البلاغية المستخدمة ، وبوسع القارىء أن يرصد أشكال التكرار التى عددناها فى هذه المقدمة هنا وقد تحولت بعض الشىء فى النص العربى الجديد ، ولكن جوهر الحيلة البلاغية المذكورة (Stichomythia) موجود ولا شك . وكذلك حين يوظف شكسبير هذه الحيلة توظيفاً غنائياً لا علاقة له بالموقف الدرامى ، يستطيع المترجم أن يبرزه نثراً مثلما يبرزه نظماً ، ودون إخلال كبير بمقصد شكسبير :

Lys: The course of true love never did run smooth;
But either it was different in blood.
Her .: O cross! too high to be enthrall'd to low.
Lys .: Or else misgraffed in respect of years-
Her .: O spite! too old to be engag'd to young.
Lys .: Or else it stood upon the choice of friends-
Her .: O hell! to choose love by another's eyes.

(I. i. 134-140)

ليساندر ــ إن الحب الصادق لم يعرف الطريق اليسير الممهد

فإما أن يهتم عاشق بمن دونه منزلة

هيرميا ــ يالها من عقبة ! إذا هام الشريف بحب الوضيع

ليساندر ــ أو أن يكون غير متناسب . . لفارق السن بينهما

هيرميا ــ يا له من حائل ! إذا هام الشيوخ بحب الشباب

ليساندر ــ أو إذا قام على اختيار الأصدقاء

هيرميا ــ يالها من كارثة ! إذا اختار أحدهم حبيباً بعينى شخص آخر !

وهنا أيضا سيلاحظ القارىء سمات التكرار التى ألمحنا إليها ، إلى جانب الطباق الذى يُعتبر من السمات الرئيسية لهذا اللون من البناء اللغوى ، والحق أن الطباق antithesis من الحيل البلاغية التى تشيع فى لغة شيكسبير بصفة عامة ، هى والمفارقة بأنواعها paradox ، وان كنا قد استخدمنا نفس المصطلح فى الإشارة إلى نوع آخر هو Oxymoron فى موقع سابق من هذه المقدمة . فالمقابلات التى تزخر بها لغة شيكسبير فى هذه المسرحية ويمكن تصنيفها على أسس لفظية ومعنوية تنبع من تصور شيكسبير نفسه لفكرة الحب والتقلب الذى يصاحب أهواء العشاق . وقد يجهد المترجم نفسه لإخراج هذه المقابلات فيصيب أحيانا ويخطىء أحيانا . تأمل البيتين التاليين : ــ

The more my prayer, the lesser is my grace

(II. ii. 88)

كلما ازداد توسلى ، نقص وصاله لى !

(ازداد جفاؤ ه لى)

Their sense thus weak, lost with their fears thus strong

(III- ii- 29)

وبعد أن طاش صوابهم ، وازداد خوفهم ورعبهم !

أما البيت الأول فيتضمن مشكلة تتصل بالمعنى . وقد أجمع الشراح على أن استخدام grace هنا بمعنى الوصال (أو الظفر والغنيمة) مفتعل مقتسر حتى فى الانجليزية المستخدمة فى عصر شيكسبير ، ومن ثم فالأفضل أن يضحى المترجم بالطباق ويخرج بدلاً منه عبارتين متوازيتين بالعربية ، وأما البيت الثانى فيتضمن تركيباً مفتعلاً هو الآخر ولا يستطيع المترجم إزاءه إلا الاستعاضة عنه بالصورة العربية المقبولة ، مضحياً بالطباق . وكذلك كثيراً ما يضطر المترجم إلى التضحية بالمفارقات التى لا يتوقع من القارىء العربى إدراكها ـ مثل قول ليساندر :

Nature shows art

(II. ii. 103)

بمعنى أن الطبيعة تبدى فنون الصنعة ـ والطبع والصنعة نقيضان !

والنص المترجم يوحى بهذا المعنى البعيد وحسب حين يقول « ما أمهر يد الطبيعة » ـ وقس على ذلك كثرة الحكم والأمثال aphorisms التى تعتبر من الحيل البلاغية بسبب استنادها الى المفارقات :

Things base and vile, holding no quantity,
Love can transpose to form and dignity.

(I. i. 232- 233)

قد يهب الحب أحط الأشياء وأقبحها

بل مالا ذكر له أو وزن
أشكالا ذات سمو وجمال !.

والواقع أن هذه الصورة للحب امتداد للصورة التى تقدمها مسرحية روميو وجوليت (المعاصرة لهذه المسرحية أو السابقة عليها بقليل) ويمكن تفسير مسارات الصور الفنية أى الصور الشعرية بوجه عام imagery فى ضوء المفهوم الذى سبق أن أشرت إليه . وما أسميته بالمقابلات فى الفقرة السابقة يصل إلى حد المفارقات ، ووصف الحب السابق هنا (I. i. 232-233) يعيد الى الذهن ما قاله الدوق أورسينو عنه فى افتتاحية الليلة الثانية عشرة ، أو ما قاله روميو عنه :

سرور حزين وحزن مرح
ودمع ضحوك وفرح ترح
عماء من الصور الرائعة !
جمال من البدع الشائهة !
رصاص من الريش مثل الهواء
دخان يضىء كنار السماء
وثلج من النار حار رطيب
وجسم صحيح عليل معا
ونوم يناجى نجوم الفضاء
وصحوة قلب تناجى الهباء !

وهذا هو الذى يفسر لنا ميل شيكسبير إلى التورية بأنواعها ، وأبسطها هو استخدام كلمتين لهما نفس الشكل مع اختلاف المعنى ــ (antanaclasis) وهذا من المحال ترجمته كقول ديمتريوس (ii. i. 92) (wood within wood) أى « مجنون وسط الغابة » ــ ومحاولة إيجاد التقابل هنا لن تنجح فلا كلمة الغاب

تـوحى **بالغيـاب** عن الوعى ولا **بغيـابـة** الجب ! ولا تعبـير « مغيب وسط الغاب » قادر على نقل التورية ! وكذلك اتهام ليساندر بأنه غنى تحت شباك هيـرميا فى ضـوء القمر ـ with faining voice (بصـوت خادع) verses of feigning love (أناشيد غرام زائف) ـ(I. i. 31) وقس على ذلك التورية الشائعة فى العربية اى ايحاء كلمة واحدة بمعنيين معا ـ (syllepsis) لوجودها فى تركيبين متعاقبين ، فهى شائعة فى روميو وجوليت ـ (فى III. iv. 4 وفى II. v. 74) .

* * *

وأعتقد أن هذه اللمحة السريعة عن لغة شكسبير فى هذه المرحلة تكفى لإلقاء الضوء على بعض صعوبات ترجمتها . أما الصعوبة الأكبر فتتمثل فى تحديد مـا يترجم منهـا نثراً ومـا يترجم نـظماً ، ثم ما يتـرجم نظماً حـراً ، وما يترجم نظماً عمودياً مقفى . ومصدر قرار المترجم هو النص ولا شك . فالنص مكتوب بكل هذه الألوان الصياغيـة ، ويحفل بضـروب شتى من الأساليب ، وقد تكون محاكاتها جميعاً ، ابتغاء الأمانة ، أمراً عسيراً ، ولكن المحاولة ضرورية ، وهاك ما انتهت اليه هذه الترجمة .

لم أتردد فى ترجمة كل ما هو منظوم مقفى مثل الأغانى والأناشيد التى تحفل بها المسرحية إلى نظم عربى مقفى . فالأغانى ـ تعريفاً ـ قطع غنائيـة قد تنـاسب الموقف الدرامى وقد تنبع منه وتصب فيه ، ولكنها تتمتع بقـدر من الاستقلال يتطلب المحافظة على جوهرها الشكلى . والقارىء يعرف ولا شك أن موسيقى الشعر الغنائى جوهرية لمعناه . أى أن لها معنى لا يقل أهمية عن معنى الألفاظ بل وأحيانا ما يزيد عنه ! فالأبيات التى يقولها بوتوم فى المشهـد الثانى من الفصـل الأول ـ لا يقصد منها توصيل معنى (شاعرى) بالمعنى المفهوم ، ولكنها سخرية لاذعة من تصور أهل زمانه أن البلاغة الرفيعة تقتضى الإشارة إلى الآلهة الوثنية فى

اليونان واستخدام الأسلوب الطنان الرنان الذى شاع فى بعض ترجمات القرن السادس عشر عن اليونانية واللاتينية ، وربما فى الترجمة التى قام بها جون ستادلى John Studley (١٥٨١) لإحدى مسرحيات سينيكا (الرومانى) عن هرقل . وربما كان شكسبير يسخر أيضا (كما يقول رولف Rolfe) من هذا النوع من النظم النمطى (فى مقدمته لطبعة قديمة صدرت عام ١٨٧٧ لهذه المسرحية ، والحق أنه أول من اشار إلى أن شيكسبير كان يسخر من ستادلى) . ولذلك فإن ترجمة معانى الكلمات ، أيا كانت دقة الترجمة ، دون النظم والقافية ، تضيع المقصد الفنى للأبيات .

أما « المقصد الفنى » للأبيات فهو خروجها بهذه الصورة من فم بوتوم (النساج) الذى لا يستطيع الحديث بلغة سليمة ، ويخطىء أخطاء فادحة فى النحو والصرف ، ويتحول فى المسرحية إلى حمار . . والموقف الذى تخرج فيه الأبيات يجعلها مناقضة لكل ما يتوقعه الجمهور . أما الأبيات الإنجليزية فمكتوبة فى ثمانية أسطر ، يتكون كل منها من تفعيلتين ، مع تفاوت القافية ــ وقد حاولت أن أحاكى ذلك ببحر يسير هو مجزوء الكامل ، وأن ألجا إلى الزحاف حتى أبرز الإيقاع المقصود

The raging rocks
And shiv'ring shocks
Shall break the locks
    Of prison gates
And Phibbus Car
Shall Shine from far
And make and mar
    The foolish fates

إن الصخور الغاضبة	والصاعقات الراجفة
ستحطم الأقفال فى	كل السجون الموصدة
ولسوف يسطع من بعيد	موكب الشمس المهيب
كيما يحدد سير أقدار	خطاها طائشة

والنوع الثانى من النظم هو « الأنشودة » ، وهو يشيع فى مشاهد الجان ، والأنشودة ليس لها شكل محدد ، ولذلك تتفاوت أطوال أبياتها ، كما تتفاوت بين اللغتين إيقاعاتها . فالمجموعة تغنى أنشودة النوم لملكة الجان ، وتنفرد إحدى الجنيات بأبيات تالية لها :

Chorus: Philomel, with melody
Sing in our sweet lullaby;
Lulla, lulla lullaby; lulla, lulla, lullaby;
Never harm, nor spell, nor charm
Come our lovely lady nigh;
So goodnight, with lullaby.

First Fairy: Weaving spiders, come not here;
Hence, you long- legg'd spinners, hence!
Beetles black, approach not near;
Worm nor snail, do no offence.

المجموعة ــ يا بلبل غنى الألحان
فى أنشودة نوم الجان
ابعد يا ضر ابعد يا شر ابعد يا سحر !

لا تؤذ مليكتنا الحسناء !
ولنصبح فى خير وهناء !

الجنية الاولى ــ أيا عناكب النسيج يا نحيلة ــ ابتعدى !
يا غازلات ذات أرجل طويلة ــ ابتعدى !
يا ثلة الخنافس السوداء يامرذولة ــ ابتعدى !
لا تقربى منا قواقع المحار يا مجدولة ــ ابتعدى !
يا دود بطن الأرض كف الشر !

فالترجمة هنا ــ كما هو واضح ليست ترجمة لمعانى الألفاظ المفردة قدر ماهى ترجمة لأنشودة متكاملة ، وأتصور أن يعتبرها القارىء أنشودة مقابلة لأنشودة ، لا سطوراً أو كلمات مقابلة لسطور أو كلمات . وقد حاولت قدر الطاقة أن أجد الموسيقى اللفظية المقابلة فى العربية فخرج الإيقاع من بحرين هما الخبب والرجز ، وإن كانا يتضمنان بعض مظاهر التجديد العروضى المعاصر ، وهى المظاهر التى شاعت فى زحافات بحر الرجز على وجه التحديد وغنى عن القول أنها غير مقصودة بل أملاها النص إملاء !

والنوع الثالث من النظم فى المسرحية هو النظم المقفى الذى لا يلتزم بمنهج فى القافية ، فهو لا يلتزم بتقفية البيتين المتتاليين (الكوبليه) ، ولا يلتزم بمنهج ثابت للقطعة ككل ــ (مثل نظام السوناتا) ــ ولكنه يستخدم قافية من نوع ما وحسب . وأحيانا يلجأ إليه أوبرون (ملك الجان) فى تعويذاته :

What thou seest when thou dost wake,
Do it for thy true love take;
Love and languish for his sake.

Be it ounce, or cat or bear,
Pard, or boar with bristled hair,
In thy eye that shall appear
When thou wak'st, it is thy dear.
Wake when some vile thing is near.

(II. ii- 26-33)

أوبرون ــ أول ما تشهد عيناك لدى صحوك
اعتبريه حبيب فؤادك من فورك
وأحبيه وعانى من أجله
حتى إن يك فَهْداً أو قِطاً أو دُباً
أو نَمِراً أو خنزيراً ذا شَعْر شائك
إذ يتبدى فى عينك عند استيقاظك
حُباً محفوراً فى وجدانك
واصحى حين يمر قبيح بشع بجوارك .

والواضح أن الترجمة هنا تقترب من النص الأصلى فى المعنى والمبنى أكثر من اقتراب « الأنشودة » ، ليس بسبب يُسْر الصياغة الأصلية ولكن لأن الموقف يتطلب المعنى الحرفى قدر ما يتطلب الموازاة بين عدد الأبيات ووجود قافية من نوع ما ، فالتعويذة ليست مجرد كلام سحرى ولكنها تتضمن دقائق لاغنى لُمشاهد المسرحية عن الإلمام بها حتى يتابع الأحداث ــ وفيها تفاصيل مُهمة للمعنى الشعرى والاستعارى للحدث ــ فهى يقوم على ما ترى العينان ، وعلى ما يتبدى لهما ، أى ما يتصور الإنسان أنه يراه لا مايراه حقا ، أى ما يراه الذهن لا مايراه الآخرون .

والنوع الرابع من النظم هو الذى يستخدم القافية الثنائية أى ما يقابل تصريع الشطور فى الشعر العربى ، فكل بيتين يشتركان فى قافية ، والبحر المستخدم هنا هو نفس بحر النظم الخالى من القافية أى البحر الخماسى (لا الرباعى كما رأينا فى التعويذة ، أو فى الانشودة ، أو الثنائى فى مقطوعة بوتوم) . وهذا النوع يتفاوت فى اقترابه من روح الشعر الشيكسبيرى المألوف ، فبعضه يقترب ، إذا كان فى صورة المونولوج ، من الشعر الغنائى الذى نكاد نسمع فيه صوت الشاعر يخاطبنا مباشرة ــ كما نرى عندما تكون هيلينا وحدها على المسرح فتحادث الجمهور مباشرة فى أبيات من هذا النوع :

How happy some o'er other some can be!
Through Athens I am thought as fair as she.
But what of that? Demetrius thinks not so;
He will not know what all but he do know;
And as he errs, doting on Hermia's eyes,
So I, admiring of his qualities.
Things base and vile, holding no quantity,
Love can transpose to form and dignity,
Love looks not with the eyes but with the mind,
And therefore is wing'd Cupid painted blind.

(I. ii. 226- 235)

هيلينا ــ ما أسعد بعض الناس وما أشقى البعض الآخر !
فى شتى أرجاء أثينا يعتقد الناس بأنى أعدلها حسنا

لكن ما الفائدة وديمتروس لا يعتقد بذلك ؟
لن يعرفَ ما يعرفهَ الكُلُّ ولن يبصرَ إلا رأيه !
وكما يُخْطىء إذْ يشتاقُ لعينيها
أُخطىء إذ تبهرنى أوصافه
قد يَهِبُ الحُبُّ أحطَّ الأشياءِ وأقبحَهَا
بل ما لاذكرَ له أو وزن
أشكالاً ذات سمو وجمال
فالعاشقُ لا يبصرُ بالعين ولكن بالذهن
ولهذا صُوِّر ربُّ الحُبِّ الخافق بجناحيه كفيفاً .

أن أن شيكسبير ابتداء من السطر ٢٣٢ وحتى النهاية يتحدث إلينا من خلال هيلينا فيقدم إلينا إحدى الثيمات الأساسية فى المسرحية بل والتى تتردد فى شتى مسرحياته ، وهى هنا تتطلب الدقة فى النقل أكثر مما تتطلب جمال القافية ، ولذلك كان البحر الشعرى هو الخبب ، وهو أقرب البحور إلى النثر ، وأصلح ما يكون للترجمة الدقيقة التى تقترب من الحرفية .

وقد يبتعد هذا النوع من النظم عن روح الشعر الشيكسبيرى ليساهم فى خلق الجو « الرعوى » أو جو الغابة المقمرة الذى يهيمن على أحداث المسرحية ، وهو الذى شاعت تسميته فى العربية (مع بعض التجاوز) باسم الجو « الرومانسى » ، نسبة إلى ولع الشعراء الرومانسيين بالطبيعة والخيال وما يقترن بذلك من عواطف رهيفة ــ ومن ذلك قول أوبرون إلى خادمه باك (Puck) :

I know a bank where the wild thyme blows
Where oxlips and the nodding violet grows,
Quite over- canopied with luscious woodbine,

With sweet musk roses and with eglantine.

There sleeps Titania sometime of the night,

Lull'd in these flowers with dances and delight;

And there the snake throws her enamell'd skin,

Weed wide enough to wrap a fairy in;

(II. ii. 249-256)

فى الغابةِ الفيحاءِ أَعرفُ ربوةً سرية
تنمو عليها الزهرةُ البرية
تَحُفُّها الورودُ والبنفسجُ الذى يميل للنسيم
وفوقَها خميلةٌ كثيفةٌ من الريحان
وحولها براعمُ المسك العَطِرْ
وأقحوانٌ فارغٌ نَضِرْ
هناك تغفو زوجتى جزءا من الليل الطويل
وسط الزهور
ما بين رقص وغناء وسرور
وهناك تلقى الحية الثوب القديم
كى ترتدى الجلدَ المزركشَ بعضُ جنياتها .

وسوف يلاحظ القارىء هنا أننى حاولت إبراز مقصد الشاعر فى خلق الجو الخاص الذى يعيش فيه الجان فى أبيات من بحر الكامل وبحر الرجز ، تبدأ بالكامل وتعود إليه (فهما أخوان) وتستخدم لوناً ما من القافية ، مع التفاوت فى الطول طبقا لما يمليه الموقف الشعرى فى المسرحية .

أما النوع الخامس فهو النظم الخالى من القافية ، والذى ليس فيه من الشعر إلا الإيقاع ، وقد ذكر النقاد أنه يقترب من مستوى نثر المسرحية الواقعية خصوصا فى مشاهد المشاجرة بين العشاق ، بل قد يصل الى ما نسميه فى مصر بالرَّدْح : (أنظر كتابنا فن الكوميديا (١٩٨٠) .

Lys. : Hang off, thou cat, thou burr! Vile thing, let loose,

Or I will shake thee from me like a serpent.

Her. : Why are you grown so rude ? what change is this,

Sweet love?

Lys. : Thy love? Out, tawny Tartar, out!

Out, loathed medicine! O hated potion, hence!

ليساندر ــ أتركينى أيتها القطة ، أيتها الشوكة .

أيتها الكائن الحقير ، لا تمسكينى !

والا نزعتك عنى كما أنزع حية التفت حولى !

هيرميا ــ ماهذه الألفاظ الجارحة ؟ ما الذى غيرك هكذا يا حبيبى الرقيق ؟

ليساندر ــ حبيبك ؟ ابتعدى أيتها التترية السمراء !

ابتعدى أيتها الدواء المر ! ابتعدى أيتها الشراب الكريه !

Her. : O me **(to Helena)** You juggler! You canker- blossom!

....

Hel. : Fie, fie, you counterfeit! you puppet you!

Her. : 'Puppet' ! Why, so? Ay that way goes the game!

Now I perceive that she made me compare

Between our statures; she has urg'd her height;
And with her personage, her tall personage,
Her height, forsooth, she has prevail'd with him.
And are you grown so high in his esteem
Because I am so dwarfish and so low?
How low am I, thou painted maypole? Speak:
How low am I, I am not so low
But that my nails can reach into thine eyes.

(III. ii. 282, 288- 298)

هيرميا ــ ويلى ! (إلى هيلينا) أيتها المخاتلة !
أيتها الدودة الخبيثة !

. . . .

هيلينا ــ تبالك أيتها الزائفة ! تبًّالك أيتها الدُّمية !
هيرميا ــ دُمية ؟ لماذا ؟ فهمت ! هذه هى اللعبة اذن !
الآن فهمت بعد أن جَعَلَتْنى أرى الفرق بين قامتينا !
لقد استغلَّتْ طولَها فى التأثير عليه !
لقد استغلت قامتها ! قامتها الهيفاء
وطولها فى السيطرة عليه !
قولى هل ارتَفَعَتْ مكانتك لديه
لأننى قصيرة وقميئة ؟
ما مدى قصرى أيتها العمود الملوّن ؟ تكلمى
ما مدى قصرى ؟ لست أقصر من أن
أغرس أظافرى فى عينيك !

والواقع أن استخدام النثر هنا يعين المترجم على إخراج صورة مماثلة للنص الأصلى إلى حد بعيد ــ ليس فقط فى معانى الألفاظ المحددة بل فى التراكيب التى تعكس الحالة النفسية للشخصية ــ فالقارىء سوف يلاحظ أن إطار النظم هنا إطار خارجى وحسب ، وتأثيره محدود على تدفق الأفكار والأبنية الشعورية الداخلية ، ولذلك يعمد شيكسبير إلى أبنية نحوية وتراكيبية لا تتقيد بأبنية النظم ولا بموسيقاه ، بل تعكس وحسب الحالة النفسية « وتدفق الأفكار » لدى الشخصية ، ولهذا أيضا يكثر من الزحافات والعلل حتى يقترب بنظمه من النثر .

أما النثر فى المسرحية فيتميز بأنه يستخدم لغة تقترب من العامية وأعترف أننى حاولت استخدام العامية المصرية فى ترجمة المشهد الثانى من الفصل الأول ، وكنت أظن أننى فتحت فتحاً جديداً حين مزجت العامية بالفصحى فى ترجمة مسرحية واحدة ، ولكن النتيجة كانت محزنة ، إذ قرأت الترجمة العامية على بعض الأصدقاء من الأدباء والنقاد فأجمعوا على عدم اقترابها من النص الأصلى ــ وقالوا محقين إن العامية المصرية لم تنجح هنا ــ وانها نزلت بمستوى اللغة إلى مستوى لغة المسرحيات الواقعية المصرية التى لا هى بكوميديات راقية ولا هى بهزليات فاقعة ! ومن ثم حافظت على الفصحى فى الترجمة وان كنت لجأت إلى فصحى معربة تقترب من العامية فى تراكيبها حتى إذا قرأها القارىء دون « إعراب » وجدها من نوع العامية الجزلة ــ (كما يقول د . محمد مندور) أو اللغة الوسطى كما يقول توفيق الحكيم . ولا داعى هنا لضرب كثير من الأمثلة بل يكفى مثل واحد :

Quince : Is all our company here?

Bottom : You were best to call them generally, man by man, according to the scrip.

Quince : Here is the scroll of every man's name which is thought fit through all Athens to play in our interlude before the Duke and the Duchess, on his wedding- day at night.

Bottom : First, good peter Quince, say what the play treats on; then read the names of the actors; and so grow to a point.

كوينس ـ اكتملت الفرقة ؟

بوتوم ـ الأحسن أن تنادى الأسماء جميعا . . واحداً واحداً . . حسب النص . .

كوينس ـ هذا الدفتر فيه أسامى كل من يعرف التمثيل فى أثينا . . ليشترك فى مسرحيتنا التى سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة زفافهما . .

بوتوم ـ اسمع يا بيتر كوينس يا صاحبى . . قل لنا أولا موضوع المسرحية . . ثم أقرأ أسماء الممثلين . . قبل أن نبدأ العمل . .

وأرجو بعد ذلك العرض السريع لمشكلات ترجمة هذا النص أن يتسع صدرُ القارىء للهفوات هنا وهناك ، فليس الكمال من شيم البشر ، وكل جهد لابد أن تشوبه شوائب ، وكل ترجمة لابد أن يخرج ما هو أفضل منها ، وإن كان لكل عصر مذهبه ولغته ، وأدعو الله مخلصاً أن أكون قد اقتربت من مذهب هذا العصر ولغته إلى درجة مقبولة .

* * *

منذ أن كتب البرفسور يان كوت Jan kot ـ أستاذ الدراما فى جامعة وارسو ـ تحليله الشهير لمسرحية **حلم ليلة فى منتصف الصيف** ، فى منتصف الستينيات ، وأقلام النقاد لا تتوقف عن معالجة جوانبها المختلفة داخل الأطار الجديد الذى وضعه كوت وهو إطار المعاصرة إذ أن كوت لم يشأ أن يحذو حذو الانجليز فى التركيز

على الاصول التاريخية للمسرحية أو لدلالتها بالنسبة لعصرها إلخ بل ركز على دلالالتها الحية فى هذا العالم الذى يعانى من التناقضات التى ما تفتأ تزداد بازدياد المذاهب الفلسفية التى يطرحها المفكرون ومن العجز عن تقبل الاسس العقلانية للكون والمجتمع التى كان أسلافنا يفترضون وجودها ويسعدون برد كل الظواهر اليها ، ومن البحث المضنى والدائب عن المعنى لشتى الأحداث التى تبدو دون معنى أو هدف . واذا كان كوت قد اشتط فى إثبات النزعة الوجودية فى نص شيكسبير ، مثلما اشتط فى تفسير سائر تراجيديات الشاعر الكبير ، فإن إخراج بيتر بروك لهذه المسرحية فى أوائل السبعينيات فى ديكور تجريدى أبدعته سالى جاكوبز ، قد أثبت بما لايدع مجالاً للشك أن المسرحية أكثر من مجرد حلم ، وأن دلالاتها لا تقتصر على العالم الذى ورثته أوربا فى عصر النهضة من العصور الوسطى ، وأنها تعنى الكثير لإنسان هذا العصر بل ولإنسان كل العصور . فما هو المدخل إلى هذه الدلالة الخاصة للمسرحية ؟ ولماذا فشلت المحاولات التالية لإخراجها فى ثوب واقعى ، وبخاصة فى السينما حيث قام إيان ريتشاردسون بدور أوبرون ملك إلجان ، وأصر على تقديم الجان فى صور عارية ؟ ولماذا لم ينجح أحد حتى الآن فى تقديم مفهوم يحل محل مفهوم يان كوت أو حتى يعايشه .

المدخل الحديث هو أن المسرحية ليست مسرحية تناقضات بقدر ما هى مسرحية توحيد التناقضات عن طريق الخيال ــ كما يقول البروفسور ولفجانج كليمن أستاذ الدراما فى جامعة ميونيخ ومؤلف كتاب **تطور الصور الشعرية عند شيكسبير** . The Development of Shakespeare's Imagery والتوحيد يختلف عن التصالح أو المصالحة . فالتصالح يعنى اذابة التناقضات : والكوميديا التقليدية تعتمد على التصالح لأنها تعنى التوافق والتوفيق سواء فى الشخصية الواحدة أو بين الشخصيات المتعددة أو فى الهيكل الاجتماعى ، أما التوحيد فيعنى أن علينا أن

نقبل وجود التناقضات باعتبار أنها تشكل وحدة فيما بينها هى وحدة الإنسان أو وحدة المجتمع ، وأن ذروة الحكمة هى ألا نحاول إيجاد أطر فلسفية أو فنية لتذويب التناقضات بل أن نحاول أن ننفذ من خلالها إلى العنصر الثابت فى حياة الإنسان ، العنصر الذى يهب لحياته معنى وهو عنصر الوجود على ظهر هذه الأرض ردحا من الزمن باعتباره وجوداً ذهنياً . وعنصر الوجود الذهنى معناه تخطى حواجز الزمان والمكان ، والمد فى اللحظة العابرة حتى لتصبح دهرا ، وفى المكان المحدود حتى ليصبح كونا ، ومعناه أن الذهن هو الذى يقضى بسعادة الإنسان أو شقائه ، فالكائن المفكر يستطيع تغيير ما حوله إذا حوله إلى حقائق ذهنية فهو يبدأ من الداخل وينتهى الى الداخل ، أو كما يقول ملتون (شاعر الانجليزية الاكبر) الذهن يستطيع أن يحيل الجنة جحيما والجحيم جنة . والذى يقرأ المسرحية لأول مرة يجد أن عليه أن يخلق إطاراً كبيراً من الوهم يستطيع أن ينتظم فى ثناياه كل الصراعات التى يحفل بها العمل وأن يتقبل فى النهاية وجود هذه الصراعات . فهذه كوميديا يتحول فيها المحبون من وجه الى وجه ، ويتنقل فيها الذهن من عالم الواقع الى عالم الخيال ثم الى عالم الواقع مرة أخرى ، دون مبرر عقلانى سوى قدرة الذهن الخاصة التى يسميها شكسبير بقدرة الخيال .

وقد استمد شكسبير مادته الدرامية من التراث الشعبى الحافل الذ كان ما يزال حياً فى عصر النهضة ــ تراث الخرافة والسحر والجان ، ومن عالم الواقع البسيط النابض بالدفء والحرارة من حوله ، ثم خلق من هذه المادة عالمين يطل كل منهما على الآخر ثم يتداخلان بالتدريج حتى إذا جئنا إلى النهاية وجدنا أننا سواء صدقنا بوجود الخرافة أم كذبناها فإن عالم الواقع الذى نشهده أمامنا لا يمكن تقبله إلا إذا افترضنا وجود عالم آخر على أى مستوى شئنا ــ مستوى الخرافة أو مستوى الرمز أو مستوى الخيال . وهو ينطلق فى هذا من الفكرة الشائعة فى أوربا بأن أشد

أيام العام حرارة ، وهو يوم منتصف الصيف ، يؤثر على الذهن تأثيراً خاصاً ، بل ويمكن أن يؤدى الى ما شاع وصفه بجنون منتصف الصيف . وهو جنون من نوع خاص لأنه يجعل الذهن قادراً على تقبل الخيالات والاوهام وازالة الحد الفاصل بين ما هو كائن وما هو غير كائن ، كما أن شيكسبير يعتمد على صور الأحلام بما فيها من تناقضات وتصارعات ونقلات سريعة غير منطقية كثيراً ما تضفى على الواقع معانى لا يمكن فهم الواقع بدونها ، فهى خلاصات رمزية للتجربة الإنسانية وقد جردت من سياقاتها العملية الحياتية ، وتجردت من تفاصيل الضرورة والإلزام ، فأصبحت صوراً للرغبات المكبوته التى لا يعلم الذهن الواعى بها ، أو صوراً رمزية لأفكار تتوه فى زحمة الدنيا ، أو صوراً لمخاوف ومشاعر تهب الأحداث معانى ربما ظلت تائهة سنين وسنين .

ورغم انتماء حلم ليلة صيف إلى الفترة الوسطى من إنتاج شكسبير أى رغم أنها جاءت بعد الملهاوات المبكرة (**كوميديا الأخطاء وخاب سعى العشاق**) ورغم أنها سبقت ملهاوات النضج مثل **تاجر البندقية والليلة الثانية عشرة** فإن هذه المسرحية لا تنتمى إلى أى نوع من أنواع الكوميديا التى كتبها شيكسبير وتمثل تحدياً للنقاد المولعين بالتبويب والتصنيف وقد ذهب بعض النقاد إلى أنها كتبت لتسخر من صورة الحب الرومانسى التى أبدعها فى مأساته **روميو وجوليت** . وربما كان هذا صحيحاً (أنظر كتابنا **فن الكوميديا** ص ٨٣ ــ ٩٧) ولكنه بينما يسخر من صورة الحب الرومانسى فهو يعلى من صورة الذهن البشرى فى قدرته الرائعة على الإبداع والخلق ــ فالذهن قادر على خلق كل شىء . . حتى الحب . .

* * *

وتكمن عظمة العمل الذى ابدعه شيكسبير فى قدرته على احكام التداخل بين عالم الخيال وعالم الواقع وذلك من خلال بناء جديد لم يسبق إليه أحد

(ولا أظن أن أحداً قد أخرج مثله) وهو إيجاد عالم الجان المقابل لعالم البشر بحيث تجرى أحداث المسرحية بين البشر أمامنا ومن خلفهم ومن حولهم الجان يقومون بالأحداث الدرامية التى تخصهم فى الظاهر ولكنها تشتبك وتصب فى أحداث البشر فى الحقيقة . فالبناء يتخذ الصورة العامة التالية : فى الفصل الأول نرى عالم الواقع البسيط الذى يقسمه شيكسبير إلى قسمين : القسم الأول نمطى يسخر فيه من تقاليد المسرح فى أيامه فيظهر لنا الدوق ثيسيوس وهو يستعد للزفاف من حبيبته هيبوليتا . وهو يتحدث بلغة رفيعة عاطلة من المشاعر فهو قائد عظيم ، وزفافه أقرب إلى الحفل العام منه إلى اللحظة الفردية الخاصة ــ لحظة الاستمتاع بوصال محبوبته . ثم يدخل عليه إيجيوس والد هرميا ليقول له إنه وافق على تزويجها من ديمتريوس . ولكن شاباً آخر اسمه ليساندر قد شغفها حُباً ويريد الزواج بها .

ويقول له إنه يريد تطبيق قانون أثينا الصارم . ويقول الدوق إن القانون يقضى بالموت عليها أو بحياة الرهبنة إن هى لم تُطع والدها . ونعرف فى هذا المشهد أن ديمتريوس قد سبق له أن خطب ود فتاة أخرى من أثينا هى هيلينا وأنها تبادله الغرام ولكنه قد نكث بعهده . ويعطى الدوق مهلة للفتاة حتى يوم زفافه حتى تقرر ما تريد أن تفعل . وعندما يخلو العاشقان يتفقان على الرحيل إلى عمة ليساندر التى تقطن فى مكان بعيد عن أثينا ولا يخضع لقانونها الصارم ومن ثم يستطيعان الزواج هناك . وبعد ذلك تدخل هيلينا وتعلم بالخطة الموضوعة وتقرر بعد خروجها أن تتبعهما إلى الغابة عسى أن يَجِدَّ ديمتريوس فى طلب هرميا فَيَجِدَها هى ، وربما استطاعت أن تشكوه غرامها وتعاتبه وأن يصفو الجو بينهما .

والواضح أن البناء هنا ــ فى الموقف واللغة والصور والأسلوب ــ بناء نمطى . وشيكسبير يحافظ على التنميط عمدا فى رسم شخصيات العاشقين ــ وفى الفصول التالية أيضاً ــ ويبقى على هذا القالب النمطى ــ كما يقول كليمن ــ لأنه

يريد أن تظل الشخصيات مجرد أسماء للعاشقين ، بحيث لا يصبح ليساندر مثلاً متميزاً عن ديمتريوس أو بحيث نستطيع التفرقة بين لغة هيلينا أو هيرميا ـ (مثلما فعل فى روميو وجوليت إذ تتفرد كل شخصية بلغة خاصة وصور شعرية متميزة) . وفى مقابل هذا القسم النمطى نجد فى المشهد الثانى من الفصل الأول صورة حية لفريق من عمال أثينا يعشقون فن التمثيل ويقدمون الصورة الساخرة من موقف الحب الرومانسى الذى كان شيكسبير قد صوره فى **روميو وجوليت** . وفى بؤرة هذه الصورة الساخرة نجد بوتوم الذى يعمل نساجاً يعرض أن يقوم بدور العاشق ثم يعرض أن يقوم بدور المعشوقة فى الوقت نفسه ودور الأسد أيضا . .

ودور العاشق الذى يستقر عليه الرأى دور عاشق يقتل نفسه فى سبيل الحب . والمسرحية القصيرة التى يعتزم هؤلاء العمال تقديمها فى حفل زفاف الدوق تمثل فى مجموعها محاكاة ساخرة لكل مسرحية حب رومانسية نمطية شهدها عصر شيكسبير وخاصة مسرحيات الأقنعة التى كانت تقدم فى البلاط الملكى فى شتى بلدان أوربا منذ العصور الوسطى (أنظر كتاب **مسرحيات الأقنعة فى البلاط** للأستاذة إينيد ولسفورد) .

وهكذا ـ وبانتهاء الفصل الأول يكون الأساس الواقعى للدراما قد اكتمل بصورتيه ـ صورة رفيعة ولكنها جامدة نمطية ، وصورة عادية متواضعة ولكنها نابضة بالحياة والحركة . ومن ثم يكون الفصل الثانى نقطة انطلاق إلى عالم الذهن الذى يكشف عن المعانى الكامنة فى هاتين الصورتين عن طريق الخرافة والخيال .

ويبدأ شيكسبير منذ اللحظة الأولى فى الفصل الثانى من وضع الإطار الخيالى عن طريق الجان ، فنعيش صفحات مع الجنيات ومع ملك الجان أوبرون وملكة الجان تيتانيا حتى نحس أننا انتقلنا إلى عالم الأرواح أو عالم الذهن (إذا سلّمنا بأن

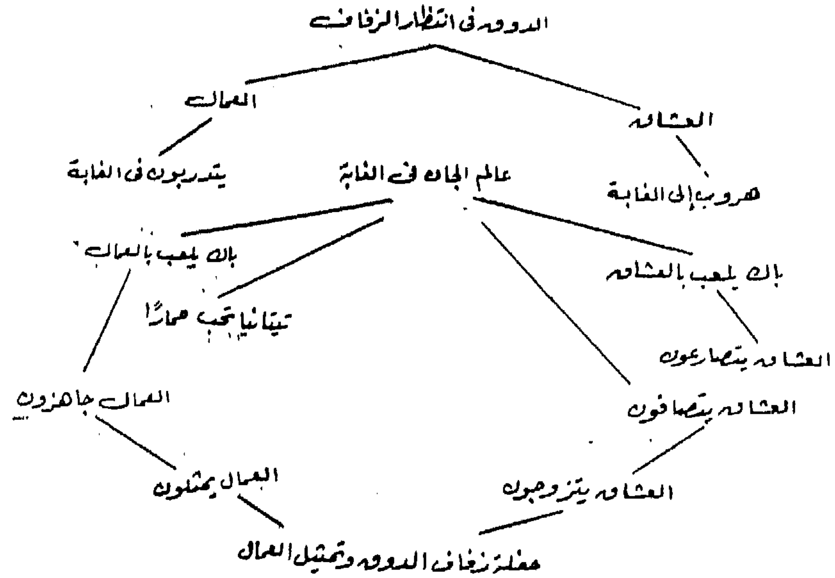
هذه المخلوقات لا توجد إلا فى الذهن) . فالنقلة إلى عالم الجان نقلة فى الحقيقة الى عالم الذهن الذى يفور ويمور بأوهام الحب الرومانسى التى يريد شيكسبير أن يسخر منها ــ الغيرة الحمقاء ونزعة الانتقام (عند أوبرون) والصد والهجر والتعالى (عند تيتانيا) ونزعة اللهو واللعب (عند باك) والنزعة الجمالية ونشدان المتعة (عند الجنيات) . وعند انصراف الملكة يقرر أوبرون أن ينتقم منها بأن يجعلها تقع فى غرام من لا يستحق غرامها ــ وهى تنويعة جديدة على تيمة الحب الرومانسى ــ فيأمر خادمه باك بإحضار رحيق زهرة إذا وضع فى العينين أثناء النوم جعل الفرد يقع فى غرام أول إنسان يراه عند اليقظة أى أن إله الحب الرومانسى يسكن فى العينين وأنه خادع . وفى نفس الوقت يعنى هذا أن الحب الذى يسكن العينين لا يعتمد على الجمال الظاهر بل على الرحيق السحرى أى على قوة الذهن وما الرحيق السحرى الذى يأتى به باك إلا الوهم الذى يضعه الذهن فى عيون البشر ! ومن هنا تنشأ المفارقة الدرامية البديعة ــ مفارقة البصر والعمى . . فالحب تخلقه العيون ولكنها عيون لا ترى إلا ما يريها الذهن !

عندما يدخل ديمتريوس وخلفه هيلينا تستعطفه ، يقرر أوبرون أن يصحح هذا الوضع فيأمر خادمه بأن يضع رحيق الزهرة السحرى فى عينى الفتى الأثينى . ولكن الخادم يخطىء فيضع الرحيق فى عينى ليساندر بدلا من ديمتريوس وهكذا يهجر ليساندر حبيبته هرميا ويولع بهيلينا . ومع بداية الفصل الثالث نعود إلى عمال أثينا وهم يتدربون على المسرحية الساخرة بالقرب من مخدع تيتانيا ملكة الجان . ويضع الخادم باك الرحيق فى عينيها ثم يحيل رأس بوطوم إلى رأس حمار ــ بحيث تقع فى غرامه بمجرد أن تصحو من النوم .

ودون المضى فى عرض المسرحية تستطيع أن نتبين مدى تطور الحدث نتيجة لتدخل الجان فى حياة البشر طوال ليلة من ليالى الصيف أى نتيجة لإطلاق الذهن

من عقاله وتنقله من حال إلى حال ، وتغيره أكثر من مرة حتى نصل إلى لحظة يلتقى فيها كل العشاق ويصل العمال إلى مرحلة الاستعداد لتقديم المسرحية أمام الدوق .

وهنا يختفى الجان ــ أى مع إشراق الفجر وانتهاء الليل الطويل ونعود إلى عالم الواقع الذى اختلف الآن ! لقد كانت هذه الرحلة الذهنية سببا فى تبيان مدى عجز الانسان عن إدراك المعنى الخاص بتجربته دون الاستعانة بالخيال ، وما الخيال عند شيكسبير الا القدرة على الغوص فى المعنى أياً كانت حدود الواقع المقيدة له . وهكذا يمكننا ان نرسم هذا الرسم البيانى لهيكل البناء الذى يمزج فيه الشاعر بين عالمى الواقعية (النمطى والحى) عن طريق الجان :



والمقصود من هذا الرسم البيانى إيضاح هيكل البناء الذى تستند إليه « الصورة الاستعارية » التى تقوم عليها المسرحية ، وهذه الصورة هى التى ترسى الأسس الفنية للحدث الدرامى وكل ما يتصل به من مظاهر لغوية حاولت جاهداً نقلها بأمانة فى الترجمة ، إذ سيلاحظ القارىء أن الأجزاء الأخيرة من المسرحية يغلب عليها النظم (فى الانجليزية والعربية) وأن لحظات التصافى التى تؤدى إلى «النهاية السعيدة » تتميز بالتناقض الشديد بين استخدام النظم فى كوميديا الجان ، والنثر فى حديث العشاق ــ مما يعود بالحدث إلى جذوره فى الفصل الأول فى صورة معكوسة !

وبعد ، فأرجو أن يحطى هذا العمل بقبول القراء ، كما أرجو أن يساهم فى الجهد المبذول لتقريب روائع شاعر الانجليز الأكبر لقراء العربية فى كل مكان .

محمد عنانى

القاهرة ـ ١٩٩٢

الشـــخصيات

ثيسيوس Theseus	: دوق أثينا
هيبوليتا Hippolyta	: ملكة الأمازونات ــ مخطوبة إلى ثيسيوس
ليساندر Lysander	
ديمتريوس Demetrius	: شابان من رجال البلاط ، يحبان هيرميا
هيرميا Hermia	: تحب ليساندر
هيلينا Helena	: تحب ديمتريوس
إيجيوس Egeus	: والد هيرميا
فيلوسترات Philostrate	: المسئول عن تنظيم حفلات الدوق
أوبرون Oberon	: ملك الجان
تيتانيا Titania	: ملكة الجان
بـاك (أو روبين جودفيلو) (Robin Goodfellow) Puck	: مضحك أوبرون ومساعده
بازلاء Peaseblossom	

خيط عنكبوت Cobweb	: جنيات فى خدمة تيتانيا
فراشة Moth	
خردلة Mustardseed	
بيتر كوينس Peter Quince	: نجار ــ يقوم بدور البرولوج فى المسرحية القصيرة
نك بوتوم Nick Bottom	: نساج ــ يقوم بدور بيراموس فى المسرحية القصيرة
فرانسيس فلوت Francis Flute	: مصلح منافيخ ــ يقوم بدور رثيسى فى المسرحية القصيرة
توم سناوت Tom Snout	: سمكرى ــ يقوم بدور الحائط فى المسرحية القصيرة
سناج Snug	: نجار أثاث ــ يقوم بدور الأسد فى المسرحية القصيرة
روبين ستار فلنج Robin Starveling	: خياط ــ يقوم بدور ضوء القمر فى المسرحية القصيرة

جنيات أخرى من حاشية أوبرون وتيتانيا

لوردات وأتباع ثيسيوس وهيبوليتا.

الفصـــل الأول

المشـــهد الأول

[يدخل ثيسيوس وهيبوليتا (وفيلوسترات) والأتباع]

ثيسيوس : إيه هيبوليتا الجميلة !
إن ساعة زفافنا تقترب سريعاً ،
وما هى إلا أربعة أيام هنيئة حتى يشرق هلال جديد
ولكن ـــ ما أبطأ ذبول هذا القمر الهرم !
إنه يصد رغباتى كأنه امرأة أب ، أو عجوز ثرية ،
طال انتظار وارثها فذوى شبابه !

هيبوليتا : سريعاً ما تغوص الأيام الأربعة فى جوف الليل
وسريعاً ما تمضى الليالى الأربع بالزمن فى غمرة الأحلام !
ثم يشرق الهلال ، مثل قوس فضى
شُدَّ من جديد وسط السماء ، ليشهد ليل حفلاتنا .

ثيسيوس : هيا يا فيلوسترات .. إلى شباب أثينا

فابعث اللهو والمراح .. وأيقظ الفرح
بروحه العربيدة الصاخبة ..
وأرسل الحزانى إلى مواكب الجنازات
فلا مكان فى مهرجاننا لشاحبى الوجوه !

(يخرج فيلوسترات)

هيبوليتا ! لقد خَطَبْتُ وُدَّك بحدِّ السيف
ونلتُ حبك بإساءتى إليك ،
لكننى سوف أزفك إلىّ بأنغام جديدة ،
أنغام النصر والترف والقصوف.

(يدخل إيجيوس ـ وهرميا ابنته ـ وليساندر وديمتريوس)

ايجيوس : ليهنأ ثيسيوس دوقنا الشهير !

ثيسيوس : شكرا إيجيوس الأمين .. ما وراءك ؟

ايجيوس : إننى قلق مضطرب .. أتيت أشكو من طفلتى ،
هيرميا ابنتى ! أقدم يا ديمتريوس .. يا سيدى الشريف !
لقد وافقت على زواج ابنتى من هذا الرجل .
أقدم يا ليساندر !
وهذا أيها الدوق الكريم .. هذا الرجل
أعمل سحره فى صدر طفلتى .. نعم
أنت يا ليساندر .. لقد أنشدتها شعرك وبادلتها رموز الغرام
وكنت تغنى تحت شباكها

فى ضوء القمر بصوت خادع
أناشيد غرام زائف
وسرقت مشاعر خيالها الغرير
بخصلات شعرك وخواتمك ولعبك وطاقات الزهور والحلوى والحلى
تلك الرسل التى تسبى قلوب الشباب الغض !
لقد سلبت قلب ابنتى بالمكر والدهاء !
فحولت طاعتها التى من حقى إلى صلابة وعناد
واذن ــ أيها الدوق الكريم ــ
إذا هى لم توافق الآن أمام سموك
على الزواج من ديمتريوس ــ لجأت إلى قانون أثينا العريق
فمادمت أملكها فأستطيع أن أتصرف فيها كيفما شئت
فإما إلى هذا السيد وإما إلى الموت .
وهذا ما ينص قانوننا على تطبيقه مباشرة فى هذه الحالة .

ثيسيوس : ماذا ترين ياهرميا ؟
ارجعى إلى نفسك يا فتاتى الجميلة .
يجب أن يكون والدك رباً لك :
ربٌ صاغ مفاتنك . . نعم .
وما أنت إلا قطعة من الشمع طَبَعَ عليها صورتك ،
يستطيع إذا أراد أن يحفظ الصورة أو يمزقها .
وديمتريوس شاب كريم .

هيرميا : وكذلك ليساندر

ثيسيوس : حقا .. فى ذاته وحسب ..
أما فى هذا الأمر .. فيحتاج إلى تأييد والدك ..
واذن فالآخر أفضل منه وأكرم .

هيرميا : ليت والدى يستطيع أن ينظر بعينى .

ثيسيوس : بل الأحرى أن تنظر عيناك بحكمته .

هيرميا : أرجو الصفح من سموك ،
فأنا لا أدرى سر القوة التى تمنحنى هذه الجرأة .
أو ما يصيب حيائى أو أدبى
إذا عرضت رأيى ودافعت عنه
فى حضرة سموك .
ولكنى أتوسل إلى سموك أن تطلعنى على أسوأ ما ينزل بى
إذا رفضت الزواج من ديمتريوس ..

ثيسيوس : إما أن يحكم عليك بالموت ،
أو بألا تقربى الرجال إلى الأبد ..
وإذن .. يا هيرميا الجميلة .. لابد أن تراجعى رغباتك .
وتدركى أنك شابة .. وتتأملى جيداً نزعات هواك .
هل تستطيعين ــ إذا عصيت أباك ــ احتمال مسوح الراهبات ؟
أى أن تعيشى إلى الأبد فى غرفة مغلقة تطمسها الظلال ،
وقد كتب عليك العقم طول العمر

وغناء التراتيل الخابية إلى القمر المجدب البارد ؟
فليبارك الله ثلاثاً من تستطيع أن تحبس نزعاتها
وتكابد رحلة العذرية الأبدية
ولكن الوردة التى تُقَطَّرُ ويؤخذ منها العطر
هى التى تفوز بسعادة الدنيا ،
لا الوردة التى تنمو وتعيش وتموت وحيدة مباركة ،
يَهُدُّها الذبول يوما بعد يوم على شوكتها العذراء

هيرميا : سوف أنمو وأعيش وأموت يا سيدى
دون أن أسلم عذريتى إلى ذلك السيد ،
فنفسى لا ترضى أن تسلس قيادها لزمامه الكريه . .

ثيسيوس : فكّرى فى الأمر على مهل . . وموعدنا الهلال الجديد ،
اليوم الذى أرتبطُ فيه بحبيبتى برباط القران الأبدى
وحينئذ تهيئى للموت إذا عصيت والدك . .
أو للزواج من ديمتريوس ــ حسب رغبته .
أو للقسم أمام مذبح الإلّهة ديانا
بأن تعيشى حياة الحرمان والوحدة
إلى الأبد

ديمتريوس : ارجعى لصوابك يا هيرميا الرقيقة . . وأنت ياليساندر !
تنازل عن مطلبك الباطل . . وامنحنى حقى المشروع .

ليساندر : لقد نلت حب والدها .. فليبق لى حب هيرميا
تزوجه أنت يا ديمتريوس !
إيجيوس : يالزهوك يا ليساندر .. حقا لقد نال حبى
وسيمنحه حبى ما أملك وهى ملكى
وكل ما أملك منها سأمنحه لديمتريوس .
ليساندر : إننى كريم المنبت يا سيدى ــ شأن ديمتريوس .
ولدىّ من المال قدر ما لديه
ولكنّ حبى لها يزيد عن حبه .
ولا تقل أحوالى فى أعين الناس امتيازاً عن أحواله ،
إن لم تكن تزيد ،
غير أننى أعتز بما هو أفضل من ذلك كله ،
وهو أن هيرميا الجميلة تحبنى
لم إذن لا أطالب بحقى ؟
إن ديمتريوس ــ وسأعلنها أمامه ــ
قد بث غرامه لهيلينا ابنة نيدار .
وسلب لبها .. فأصبحت تلك الفتاة الرقيقة تهيم به حبا ،
بل إنها تعبد ذلك الخائن المتقلب الأهواء
ثيسيوس : أعترف أننى سمعت الكثير عن هذا الحب
وأظن أننى حادثت ديمتريوس فى هذا الموضوع
ولكننى نسيته لانشغالى الشديد بشئونى الخاصة .

ولكن ــ إلىّ يا ديمتريوس .. وانت يا إيجيوس .. لنمض معا
فلدىّ عمل لكل منكما على انفراد .
أما أنتِ يا هيرميا الجميلة ، فانظرى فى موقفك .
فإما أن يتفق غرامك وارادة والدك ..
وإما أنِ يسلمك قانون أثينا إلى الموت
(وهو عقاب لا نستطيع التخفيف من حدته)
أو إلى قسم بعدم الزواج إلى الأبد .
هيا يا هيبوليتا .. كيف أنت يا حبيبتى ؟
هيا يا ديمتريوس وأنت يا إيجيوس ..
سوف أعهد إليكما بعمل خاص بالاستعداد لزفافنا
وأناقشكما فى أمور تتعلق بكما مباشرة .

إيجيوس : نمضى وراءك رهبة ورغبة !

(يخرجون ــ يظل على المسرح ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ماذا بك يا حبيبتى ؟ ما الذى كسا خديك هذا الشحوب ؟
وكيف ذبلت ورودهما بهذه السرعة ؟

هيرميا : ربما من قاة المطر ..
واستطيع ان أمطرها دموعاً من عواطف عينى !

ليساندر : وكذاك أنا .. إذ ما من شىء قرأته ،
أو قصة سمعتها أو تاريخ حكى لى إلاّ وأكد لى
أن الحب الصادق لم يعرف الطريق اليسير الممهد .
فإما أن نجد عاشقا يهيم بمن دونه منزلة ..

هيرميا : يا لها من عقبة ! اذا هام الشريف بحب الوضيع !
ليساندر : أو يكون غير متناسب .. لفرق السن بينهما
هيرميا : ياله من حائل ! إذا هام الشيوخ بحب الشباب !
ليساندر : أو إذا قام على اختيار الأقرباء !
هيرميا : يا لها من كارثة ! إذا اختار أحدهم حبيباً بعينى شخص آخر !
ليساندر : أو إذا قام الاختيار على الاتفاق
فوقفت الحرب أو الموت أو المرض عقبة فى سبيله ،
فأصبح عابراً كرنة الصوت العابر ،
أو سريعاً كالأطياف .. قصيراً كالأحلام ،
خاطفاً كالبرق فى اللّيل البهيم ،
ذاك الذى إذا هَبَّ كشف أمامنا الكون سماءه وأرضه ،
وقبل أن يصيح أحد : انظروا ..
يزدرده الظلام بين فكيه ،
فما أسرع ما تنطمس صور الجمال !

هيرميا : وإذا كان كل عاشق مخلص تعترضه العقبات
فالقدر إذن صاحب هذه الأحكام .
وإذن فلنصبر على محنتنا .. فهى عقبة يألفها العشاق ،
شأنها شأن الأفكار والأحلام والآلام والآمال والدموع
توابع الغرام التعس .
ليساندر : هذا كلام مقنع .. اسمعى إذن يا هيرميا :

إن عمتى أرملة وارثة ذات ثراء واسع ،
وليس لها أبناء ، ويبعد منزلها عن أثينا سبعة فراسخ
وهى تحبنى كأننى ابنها الوحيد
هناك يا هيرميا . . نستطيع أن نتزوج
دون أن تمتد إلينا يد قانون أثينا الصارم ،
وإذن فاذا كنت تحبيننى ،
فتسللى من منزل والدك مساء غد .
واذهبى إلى الغابة التى تبعد فرسخاً عن المدينة
(حيث قابلتك مرة مع هيلينا تستمتعان بصباح يوم من أيام الربيع)
فسوف أنتظرك هناك .

هيرميا : ليساندر الكريم . . أقسم لك بأقوى أقواس كيوبيد
وأفضل سهامه ذى النصل الذهبى
وبراءة حمامات فينوس
وبالقوة التى تربط الأرواح وتسعد الأحبة
وبالنار التى أحرقت ملكة قرطاجنة
حين رأت الطروادى الخائن وهو يهجرها . . فاراً فى سفينته ،
وبكل يمين أقسمه رجل وحنث فيه
(أكثر مما حنثت النساء فى أيمانها قطعاً)
لسوف ألقاك غداً فى المكان الذى حددنا فيه الموعد

ليساندر : لا تخلفى الموعد يا حبيبتى

انظرى . . إن هيلينا قادمة

(تدخل هيلينا)

هيرميا : رعاك الله هيلينا الجميلة . . إلى أين ؟

(تدخل هيلينا)

هيلينا : هَلْ قُلْتِ جَمِيلَةْ ؟
فَلْتُنْكِرْ شَفَتَاكِ جَمَالِى !
دِيمِتْرُوسْ يَهْوَاكِ فَمَا أَجْمَلَكِ وما أَسْعَدَكِ !
عَيْنُكِ نَجْمٌ يَهْدِى المَلَّاحَ السَّارِى
وَنَسِيمُ حَدِيثِكِ أَحْلَى
مِنْ تَغْرِيدِ القُبَّرَةِ العَذْبَةْ
فِى مَسْمَعِ راعٍ فى حَقْلِ الحِنْطَةْ
إذْ يَفْتَرِشُ الخُضْرَةْ
وَتَضُوعُ بَرَاعِمُ زَهْرِ الزَّنْبَقِ مِنْ حَوْلِهْ !
قَدْ يَنْتَقِلُ المَرَضُ وَيُعْدِى
لَيْتَ الحُسْنَ كَذَلِكْ
حَتَّى آخُذَ حُسْنَكِ قَبْلَ ذَهَابِى
حَتَّى تأْخُذَ أُذْنِى نَبرَاتِ الصَّوْتْ
أو تَأْخُذَ عَيْنِى نَظَرَاتِ عُيونِكْ
لَوْ كَانَ العَالَمُ أَجْمَعَ بِيَمِينى
ثم حُرِمْتُ حبيبى

لَتركْتُ الدُّنيا لَك . . كَىْ أُصْبِحَ مِثْلَكْ !
لِمَ لا أتعلَّمُ منكِ الحُسْن
وفُنُونَكِ فى السَّيْطَرَةِ على قَلْبِ حبيبى

هيرميا : إنىّ أعْبِسُ فَيَزِيدُ غراماً
هيلينا : آهٍ لوتَتَعَلَّمُ بَسَمَاتِى سِحْرَ عُبوُسِكْ !
هيرميا : إنىّ أشْتُمُه فأنالُ الحُب !
هيلينا : آهٍ لو بَعَثَتْ بَعْضُ ضَراَعَاتِى هَذَا الحُب !
هيرميا : أزْدَادُ كَراهِيَةً فَتَزِيدُ مُلاَحَقَتُهْ
هيلينا : أزْدَادُ غراَماً فَتَزِيدُ كَرَاهِيَتُهْ
هيرميا : لَسْتُ المَسْئُولَةَ يا هيلينا عَنْ هذا الحُمْق
هيلينا : لاذَنْبَ لَدَيْكِ سِوَى حُسْنِكْ
أتَمَنَّى أنْ أحْمِلَ ذَنْبَكْ !
هيرميا : فَلْيَهنأْ بالُك . . لَنْ يُبْصِرَ وَجْهِى بَعْدَ الآن !
إذْ سَنَفِرُّ أنا وليساندر من غَدِناَ !
قَبْلَ لِقَائِى مَعَهُ . . كانتْ بَلَدِى فى عَيْنِى جَنَّةْ !
يا عَجَباً . . أَىُّ مفَاتِنِ ذاكَ الحُبّ
قَلَبَتْ تِلْكَ الجَنَّةَ نَاراً ؟
ليساندر : سَنَبُوحُ إليْكِ بما نَنْوِى فِعْلَهْ :
فى لَيْلِ الغَدْ
حِينَ يُطِلُّ القمرُ لِيَشْهَدَ صُورَتَهُ الفِضِّيَةْ

فى مِرْآةِ المَاءْ
وَيَزِينَ بِقَطْرِ اللُّؤْلُؤِ ما شَبَّ من الكَلأ الأخْضرْ
(وكثيراً ما سَتَرَتْ تلك الساعةُ هَرَبَ العُشَّاقْ)
قَرَّرْنَا أَنْ نَتَسَلَّلَ هَرَباً من أَبْوابِ أثينا

هيرميا : وَهُنَالِكَ فى الغَابَةِ حَيْثُ كثيراً ماكُنَّا
نَسْتَلْقِى فَوْقَ بِسَاطِ الزَّهرِ الحَانِى
كَىْ نُفْرِغَ ما فى صَدْرَيْنا مِنْ حُلْوِ الأَسْرَارْ
سأقابِلُ مَحْبُوبِى ليساندر
ونُحَوِّلُ بَصرَيْناَ عن أَصْقَاعِ أثينا
فَنَنالَ صَدَاقَاتٍ أُخْرَى ورفَاقاً غُرَبَاءْ
والآنَ وَدَاعاً يا أُخْتَ مَرَاتِعِ لَهْوِى
ادْعِى الله لَنَا
وَلْيَبْسَمْ ثَغْرُ الحَظِّ فَيَأْتِى بِدِيمِتْرُوسْ
لاتُخْلِفْ وَعْدِى يا لَيْسَانْدر ! قَدْ كُتِبَ الصَّومُ على أعيُنِنَا
عَنْ مَائِدَةِ العُشَّاقِ إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ غَداً .

ليساندر : سَأفِى بِوُعُودِى يا حُبِّى

(تخرج هيرميا)

والآنَ وَدَاعاً يا هيلينا . .
أرجو أن يَهْوَاكِ ديمتروس . . قَدْرَ هُيامِكِ به !

(يخرج ليساندر)

هيلينا : ما أَسْعَدَ بَعْضَ النَّاسِ وما أشْقَى البَعْضَ الآخرْ !
فى شَتَّى أَرْجَاءِ أثينا
يَعْتَقِدُ النَّاسُ بأنّى أَعْدِلُهَا حُسْناً
لكنْ ما الفَائِدَةُ وديمتروس لا يَعْتَقِدُ بذلك ؟
لَنْ يَعْرِفَ ما يَعْرِفُه الكُلُّ ولَنْ يُبْصِرَ إلاَّ رَأْيَهْ !
وَكَمَا يُخْطِىءُ إذْ يَشْتَاقُ لِعَيْنَيْها
أُخطِىءُ إذْ تَبْهَرُنى أَوْصَافُهْ !
قَدْ يَهِبُ الحُبُّ أحطَّ الأشْياءِ وأقبحَهَا ،
بَلْ ما لاذِكْرَ له أو وَزْنْ ،
أَشْكَالاً ذاتَ سُمُوٍّ وجَمَالْ
فالعَاشِقُ يُبْصِرُ لا بالعَيْنِ ولكنْ بالذِّهْنْ
ولِهذَا صُوِّرَ رَبُّ الحُبُّ الخَافِقُ بِجَنَاحَيْهِ كَفِيفاً .
وَكَذَلِكَ ذِهْنُ العَاشِقِ لا يَعْرِفُ طَعْمَ الحُكْمِ الصَّائِبْ
رَفْرَفَةُ جَنَاحَيْهِ وكَفُّ البَصَرِ تُفيدُ الطَّيْشَ الدَّائِبْ
وَلِهذَا أَيْضاً رَسَمُوهُ فِى صُورَةِ طِفْلٍ سَاذَجْ
إذْ ما أكثرَ ما يَنْخَدِعُ إذَا اخْتَارَ حَبِيباً
وَكَمَا أنَّ الطِّفْلَ اللاَّهِى يَحْنِثُ فى قَسَمِهْ
يَنْقُضُ ربُّ الحُبُّ الطِّفْلُ الأَيْمانَ بِكُلِّ مَكَانْ
كانَ دِيمِتْرُوسْ ، قَبْلَ النَّظَرِ لِعَيْنَىْ هِرْمِيا ـ
يُمْطِرُنى بالأَيْمانِ عَلىَ إخْلاصِهْ

سَيْلاً من حَبَّاتِ البَرَدِ الهَاطِلْ
أماَّ حِينَ أَحَسَّ البَرَدُ حَرَارَةَ هِرْماَ
ذَابَ وذَابَتْ قَطَرَاتُ البَرَدِ النَّازِلْ !
والآنَ سأُخْبِرهُ بِفرِاَرِهِماَ
حَتَّى يَتْبَعَها فى لَيْلِ الغَدِ نَحْوَ الغَابَةْ .
أَمّا إنْ كانَ سَيَشْكُرُنى فَلِذَا ثَمَنٌ فَادِحْ
إذْ سَوْفَ أُصَاحِبُهُ أنىَّ يَمْضِى
لِأَزِيدَ بِهِ فَرْطَ عَذَابِى
ما بيْنَ ذَهَابٍ وإِيَابٍ !

المشـــهد الثانى

(منزل كوينس ـــ يدخل كوينس النّجار ، وسناج نجّار الأثاث ، وبوتوم النساج ، وفلوت مصلح المنافيخ ، وسناوت السمكرى ، وستارفلنج الخيّاط)

كوينس : اكتملت الفرقة ؟

بوتوم : الأحسن أن تنادى الأسامى جميعا .. واحداً واحداً .. حسب النص ..

كوينس : هذا الدفتر فيه أسامى كل من يعرف التمثيل فى أثينا .. ليشترك فى مسرحيتنا التى سنعرضها أمام الدوق والدوقة .. ليلة زفافهما ..

بوتوم : إسمع يابيتر كوينس يا صاحبى .. قل لنا أولاً موضوع المسرحية .. ثم اقرأ اسماء الممثلين .. قبل أن نبدأ العمل ..

كوينس : وهو كذلك . مسرحيتنا كوميديا محزنة جداً . وهى مأساة بيراموس وثسبى وموتهما القاسى المؤلم .

بوتوم : مسرحية رائعة بالتاكيد .. ومفرحة أيضا .. والآن يا بيتر كوينس يا صاحبى .. ناد على أسامى الممثلين حسب النص . هيا يا سادة .. أفسحوا المكان ..

كوينس : من يسمع اسمه يرد .. نِكْ بوتوم النساج ..

بوتوم : موجود .. قل لى ما هو الدور الذى سأمثله ثم استمر ..

كوينس : حددنا لك دور بيراموس ..

بوتوم : ومن بيراموس ؟ عاشق ؟ طاغية ؟

كوينس : عاشق .. ينتحر فى شهامة من أجل الحب ..

بوتوم : لابدّ أن أبكى بالدموع حتى أجيد تمثيله .. واذا بكيت .. فليحاسب الجمهور على عيونه .. سوف أقلب الدنيا .. وأثير الأحزان .. إلى حد ما .. هيَّا .. ناد بقية الممثلين لكن لونى الأساسى هو أدوار الطغاة .. آه لو مثلت دور هرقل ! لن يفوقنى أحدٌ فى هذا ! أو أى دور فيه صراخ وعويل ..
وسوف أُكَسِّرُ الدنيا :

إنَّ الصُّخُورَ الغَاضِبة ∴ والصَّاعِقَاتِ الرَّاجِفَهَ
سَتُحَطِّمُ الأَقْفَالَ فِى ∴ كُلِّ السُّجُونِ المُوصَدَة

وَلَسَوْفَ يَسْطَعُ مِنْ بَعِيدٍ مَوْكِبُ الشَّمْسِ المَهِيبْ
كَيْماَ يُحَدِّدَ سَيْرَ أقدارٍ خُطَاهَا طَائشَةْ !

هذا هو الشعر الرفيع ! والآن ! اقرأ أسماء باقى الممثلين ــ هذه هى نبرات هرقل .. نبرات الطغاة .. أما العاشق فَأَرَقُّ وأَلْطَفْ ..

كوينس : فرانسيس فلوت .. مصلح المنافيخ ..

فلوت : موجود يا بيتر كوينس ..

كوينس : فلوت .. لابد أن تمثل دور ثسبى ..

فلوت : ومن ثسبى هذا ؟ فارس جوال ؟

كوينس : بل الفتاة التى لابد أن يحبها بيراموس ..

فلوت : لا لا لا أرجوك .. لا تجعلنى أمثل دور فتاة .. لحيتى بدأت تنبت ..

كوينس : لا يهم .. سوف ترتدى قناعاً .. لك أن تتكلم بصوت رقيق .. كما تريد ..

بوتوم : أستطيع أن أخفى وجهى .. وأمثل دور ثسبى أيضا .. وأتكلم بصوت رقيق جداً .. جداً (يمثل) آه بيراموس .. حبيبى العزيز .. أنا حبيبتك ثسبى .. ثسبى الحلوة ..
حبيبتك العزيزة

كوينس : لا لا ! يجب أن تمثل دور بيراموس فقط .. وأنت يافلوت دور ثسبى ..

بوتوم : فليكن .. استمر ..

كوينس : روبن ستارفلنج .. الخياط ؟

ستار فلنج : موجود يا بيتر كوينس . .

كوينس : روبن ستار فلنج . . سوف تقوم بدور أم تسبى . . توم سناوت السمكرى ؟

سناوت : موجود يابيتر كوينس . .

كوينس : سوف تقوم بدور والد بيراموس . . وأنا والد تسبى . . سناج النجار . . ستؤدى دور الأسد . . وهكذا نكون قد انتهينا من توزيع الأدوار . .

سناج : هل دور الأسد مكتوب عندك ؟ أريده أرجوك فأنا بطىء الحفظ . .

كوينس : يمكنك أن ترتجله . . فهو مجرد زئير . .

بوتوم : أريد أن أمثل دور الأسد أيضاً . . وسوف أزأر حتى أسعد قلوب الجمهور . . وسوف أزأر حتى يصيح الدوق « أَعِدْ ! أَعِدْ ! »

كوينس : بل سوف تؤديه ببشاعة لا حد لها . . فتخاف الدوقة والسيدات . . فيصرخن ويصحن . . ثم يشنقوننا كلنا . .

الجميع : سوف يشنقوننا كلنا . . واحداً واحداً . .

بوتوم : طبعا يا أصدقائى . . لو أخفنا السيدات وطار عقلهن . . لكان مصيرنا الشنق كلنا . . لكننى سوف أفخِّم صوتى حتى يخرج زئيرى رقيقاً كهديل الحمام الرضيع . . وسوف أزأر لكم كأننى عندليب !

كوينس : لن تؤدى إلا دور بيراموس . . بيراموس له وجه جميل . . ورجل بمعنى الكلمة . . رجل جذاب ومهذب إلى أبعد حد . . وإذن فلا بد أن تقوم بدور بيراموس . .

بوتوم : فليكن .. سأقوم به .. ما أفضل لحية تناسب هذا الدور ؟

كوينس : أى لحية تريد !

بوتوم : سوف أمثل الدور إما بلحية صفراء شاحبة ، أو بلحية ذات لون برتقالى ، أو ذات لون أحمر ، أو بلون العملة الذهبية الفرنسية .. ذات اللون الأصفر الفاقع !

كوينس : بعض الرؤوس على العملات الفرنسية لا شعر فيها على الإطلاق ! مثّل الدّور إذن دون لحية ! ولكن هياً أيها السادة (**يوزع عليهم قصاصات**) هذه أدواركم .. وأرجوكم .. أتوسل اليكم .. وأطلب منكم أن تحفظوها قبل ليلة الغد .. وسوف نلتقى فى غابة القصر التى تبعد ميلا عن المدينة .. فى ضوء القمر .. وسوف نؤدى تجارب المسرحية هناك ، لأننا لو التقينا فى المدينة فسوف يتجمع الناس حولنا ويكشفون حيلنا المسرحية .. وسوف أتولى أنا إعداد قائمةٍ بالمعدات التى يحتاج إليها العرض المسرحى . أرجوكم .. لا تخيبوا ظنى ..

بوتوم : سوف نلتقى ونؤدى التجارب ببشاعة وشجاعة .. اجتهدوا فى العمل .. ابلغوا الكمال .. وداعا ..

كوينس : موعدنا عند شجرة البلوط فى غابة الدوق ..

بوتوم : يكفى هذا .. سنلتقى هناك مهما حدث ..

(**يخرج الجميع**)



الفصل الثاني

المشـــهد الأول

(تدخل جنية من باب ، وباك من الباب المقابل)

باك : مَهْلاً أيتها الجنِّيَّة !
قُولِى ما غايةُ تَرْحَالِكْ ؟

الجنية : فَوْقَ الوَادِىْ .. فَوْقَ التَّلّ
فِى الغَابَاتِ وفِى الأَعْشَابْ
فَوْقَ حَدَائِقِنَا أَنْسَابْ
طَائِرَةً فَوْقَ الأَسْوَارْ
فِى النِّيرَانِ وفِى الأَنْهَارْ
أَسْرَعَ مِنْ قَمَرٍ سَيَّارْ
وَأَنَا أَذْرَعُ كُلَّ مَكَانْ
فِى خِدْمَةِ ذَاتِ السُّلْطَانْ
مَنْ تَحْكُمُ مَمْلَكَةَ الجَانْ !

أَنْثُرُ قَطَرَاتِ الأَنْدَاءْ
بِمَسَالِكِهاَ وَسْطَ الغَابْ
تِلْكَ الزُّنْبَقَةُ الهَيْفَاءُ
والزُّنْبَقُ حَاشِيَةٌ حَسْنَاءْ !
حُلَّتهُا تِلْكَ الذَّهَبِيَّةْ
زَانَتْها بُقَعٌ وَرْدِيَّةْ
يَاقُوتٌ مِنْ كَرَمِ الجِنِّيَّةْ
مِنْ ذَاكَ النَّمَشِ الأَحْمَرْ
يَنْسَابُ أَرِيجٌ أَعْطَرْ
لابدَّ إِذَنْ أَنْ أَرْحَلْ
كَىْ أَنْثرَ قَطْرَ الطَّلِّ
وأُعَلِّقَ بَعْضَ اللُّؤْلُؤْ
فى آذانِ الزَّهْرِ النَّائِمْ
فَوَدَاعاً يا عِفْرِيتَ اللَّيْلِ الهَائِمْ
دَعْنى أَمْضِى قَبْلَ قُدُومِ المَلِكَةْ
إِذْ سَتَكُونُ هُنَا فِى الحَالْ
فِى صُحْبَةِ كُلِّ الجِنِّيَّاتْ !

باك : سيقيم الملك الليلة حفلةً صاخبةً هنا . .
فاحذرى أن يرى الملكة
إذ أن أوبرون غاضب منها أشد الغضب
لأنها سرقت غلاماً جميلاً من أحد ملوك الهند
وجعلته تابعاً لها . .

أرق غلام استطاعت أن تستبدله من البشر
وأوبرون الغيور يريد أن يجعل الغلام
فارساً بين فرسانه يجوب معه الغابات الموحشة ،
ولكنها تحرمه بالقوة من الغلام المحبوب ،
وتتوج رأسه بالأزهار ، وترى فيه كل هنائها . .
وهكذا فما من مرة تقابلا فيها ، فى دغل أو مرعى ،
عند نبع صاف أو فى ضوء النجوم اللامعة المنثورة ،
إلا تشاجرا ، ففرت جنياتهما خوفاً
فتسلّلت إلى كئوس الأزهار واختبأت فيها .

الجنية : إما أننى أخطأت فى التعرف على شكلك وهيئتك
أو أنك حقا ذلك العفريت الذكى « الشقى »
الذى يسمونه روبين جودفيلو !
ألستَ أنت الذى يخيف فتيات القرية
وينزع قشدة اللّبن ، ويدير الرَّحى أحياناً
فيضيع مجهود ربة المنزل فى خَضِّ اللّبن ،
ويمنع المشروبات أحيانا من التخمر
ويُضِلُّ السَّارِينَ باللّيل ثم يضحكُ من تعبهم ؟
أما الذين يسمونك العفريت اللطيف أو باك الظريف ،
فهم من تقوم عنهم بالعمل ، ويبتسم الحظ لهم !
ألستَ أنت هو؟

باك : هذا صحيح ! أنا طواف اللّيل اللاّهى !
إننى ألهو أمام أوبرون وأجعله يبتسم

حينما أخدع حصاناً سميناً تربى على الفول
وأغريه بمحاكاة صهيل مهرة صغيرة !
وأحيانا أختبىء فى كأس امرأة ثرثارة
فى صورة تفاحة مشوية .
وعندما ترفع الكأس لتشرب أقفز إلى شفتيها
فتنسكب الجعة على حجرها المتهدّل !
وأحياناً ترانى سيدة حكيمة وهى تقص قصة محزنة
فتظننى كرسياً ذا ثلاث أرجل
وبمجرد أن تجلس أنزلق من تحتها فتقع
وتصيح « آه يا ذَنَبى ! » ثم يغلبها السُّعال !
ثم يمسك الجميع أردافهن ويضحكن
وينطلقن فى المرح ويعطسن ويحلفن
أنهن لم يقضين ساعةً أهنأ من تلك !
ولكن ابتعدى عن الطريق أيتها الجنية
إن أوبرون قادم .

الجنية : وهذه سيدتى أيضا . . ليته يبتعد الآن !

(يدخل أوبرون ملك الجان من باب مع حاشيته ، وتدخل تيتانيا الملكة ، من الباب الآخر مع حاشيتها)

أوبرون : لقاء منحوس فى ضوء القمر يا تيتانيا المتكبرة !

تيتانيا : من ؟ أوبرون الغيور ؟ ابتعدى أيتها الجنيات !
لقد هجرت فراشه وسلوت صحبته !

أوبرون : مهلاً أيتها الناشزة الطائشة ! ألم أزل زوجك ؟

تيتانيا : لابد أننى ما أزال زوجتَك إذن ! ولكننى أعرف كيف تسللتَ
خارجاً من أرض الجان
وجئت فى صورة أحد الرعاة ، فجلست سحابةَ يومك
تعزفُ أناشيدَ غرامك فى مزمارٍ من البوص
للراعية التى عَشِقْتَك ! لماذا جئتَ الآن
قادماً من أقاصى الهند ؟
إن الأمازونة الوثّابة ، حبيبتك المقاتلة ،
وخليلتك التى ترتدى حذاء الصيد ،
سوف تتزوج اللّيلة من ثيسيوس ! ولابد أنك أتيتَ
لتضفى على فراشهما الهناءَ والسعادة !

أوبرون : كيف تجرؤين يا تيتانيا على التلويح
بأى سوء فى علاقتى الناصعةِ بهيبوليتا ،
وأنتِ تعلمين أننى أعرف غرامَك بثيسيوس ؟
ألم تسيرى به فى ضوء اللّيل الخابى ،
وتجعليه يهجر بريجونا التى اغتصبها ،
ويخون عهده مع إيجلز الجميلة
وأريادنى وأنتيوبا ؟

تيتانيا : هذه أكاذيب صَنَعَتْها غيرتك !
ولقد دأبتَ منذ بداية منتصف الصيف
على التشاجرِ مَعَنَا وتعكيرِ صَفْوِ لَهْونا
كلّما اجتمعنا فوق تل أو فى وادٍ أو غابةٍ أو مرعى

أو حول نبعٍ صاف أو غدير رقراق
أو على شاطىء البحر الرّملى كى نرقصَ
فى حلقاتٍ على أنغام مزمار النسيم !
فإذا بالرياح قد ضاعت ألحانها سدى
فكأنما أرادت الانتقام منا ، وأتت من البحر
بضبابٍ ينشر الأمراض فى كل مكان !
وحينما هبط على الأرض ، انتفش بالزهو كُلُّ نهرٍ
صغيرٍ ففاض وأغرق الضفاف ،
وهكذا ضاع جُهْدُ الثور فى جر المحراث ،
وضاع من الفلاح العرق الذى بذله ،
وتلف القمح الأخضر قبل أن تنبت سنابله ،
وأصبحت الحظائر خاوية بعد أن غمرت المياه الحقول ،
والتهمت الغربان جثث الأغنام فسمنت ،
وكسا الوحل أماكن لهو الفلاحين ولعبهم ،
واختفت الطرق الملتوية فى المراعى الكثة
بعد أن هجرتها الأقدام ،
وافتقد البشر الفانون أهازيج الشتاء
ولم تعد تسمع بالليل نشيداً أو ترتيلاً يباركه . .
ولذلك فإن القمر الذى يتحكم فى المد والجزر
يغضب ويمتقع لونه ، فيملأ الجو بالرطوبة ،
وتنتشر أمراض التهاب المفاصل .
وبسبب هذا الخلل نرى الفصول وقد تغيرت ،

فتساقطت ندف الصقيع التى وخطها الشيب
بين أحضان الزهور القانية ذات الشباب النضر ،
وفوق تاج الثلج النحيل على رأس الشتاء الهرم
تنبت طاقة عطرة من براعم الصيف الرقيقة
كأنما تسخر منه وتضحك . فالربيع والصيف
والخريف المثقل بالثمار ، والشتاء الغاضب ، تُغيِّر
من أرديتها المألوفة ، ويختلط الأمر على الناس
فلا يستطيعون تمييز الفصول بعضها عن بعض
بما تثمره من الثمار . ومحصول الشر ذاك كله
ثمرة من ثمار خلافنا وفُرْقَتِنا .
فنحن وَلَدْنَاهُ وبذرنا بذوره .

أوبرون : عالجى الأمر إذن ، فالأمر بيدك وحدك ،
لماذا تُغضِبُ تيتانيا حبيبَها أوبرون ؟
أنا لا أريد سوى ذلك الغلام الصغير
الذى استبدلتيه ، لأجعله من أتباعى

تيتانيا : لا تتعب نفسك ، فلن أبيعه مقابل بلاد الجان كلها !
كانت أمه من تابعات مذهبى ، وكثيراً ماكنا
نقف معا فى اللّيل ، نتنسم هواء الهند العطر ونتحادث ،
وكثيراً ما جلسنا على رمال البحر الصفراء
نتأمل السفن السارية فى البحر ، حاملة تجارتها ،
وضحكنا عندما رأينا الأشرعة تنتفخ بطونها
كأنما تحمل أطفالاً من الهواء الماجن ، واذ ذاك

قامت تحاكى السفينة بخطوات سابحة رقيقة
(وهى حاملٌ أيضا بغلامى الصغير) بل كانت تسبح
على الأرض لتأتى لى ببعض أشيائى وتعود
كأنما عادت من رحلة بالبحر حاملة تجارتها .
ولكنها كانت من البشر الفانين
فماتت أثناء وضع الغلام ، وأنا أربّيه اليوم
من أجلها ، ومن أجلها لن أتخلىّ عنه .

آوبرون : إلى متى تريدين أن تقيمى فى هذه الغابة ؟
تيتانيا : ربما انتظرت إلى ما بعد زفاف ثيسيوس .
فإذا كنتَ تريدُ أن ترقصَ فى حَلْقتنا
وتشهد حَفْلَنَا فى ضوء القمر ، فَصَاحِبْنا ،
وإلّا فابتعدْ عنى ، وسوفَ أتحاشى كُلَّ مكانٍ تذهبُ إليه .
أوبرون : أعطينى ذلك الغلام فأمضى معكم .
تيتانيا : محالٌ ولو وَهَبْتَنى مملكةَ الجان التى تحكمها !
هيا بنا أيتها الجنيات ! إذا انتظرنا لحظة أخرى
عُدْنا إلى النزاع السافر !

(تخرج تيتانيا وحاشيتها)

أوبرون : لا يهم ! افعلى ما تشائين ، ولكنك لن تغادرى
هذه الغابة حتى أنتقم منك لهذه الإهانة !
تعال يا صديقى باك ! تعال أيها الرقيق !
هل تذكرُ اليومَ الذى جلستُ فيه
على صخرةٍ ناتئةٍ فى البحر

وسمعتُ حوريةً فوق ظهر دَرْفيلٍ تغنى ؟
كانتْ ألحانُها حلوةً متناغمة
حتى لقد هَدَأَ البحرُ الثائرُ عند سماعها
وَهَوَتْ بعضُ النجومِ من أفلاكها مسرعةً
لتصغى إلى موسيقى عروس البحر !

باك : نعم .. أذكره !

أوبرون : فى ذلك اليوم .. رأيتُ ــ ولكنك لم تستطعْ أن ترى ــ
كيوبيد وفى يده كُلُّ سهامه ،
يطير بين القمر البارد والأرض ،
ثم حدد هدفه ، وأطلق سهم الحب فى خفة من قوسه
نحو عذراء رائعة ، كللتها أشعة الغروب ،
فكأنما انطلق السهم يخترق مائة ألف قلب .
ولكنى استطعت أن أرى نصل السهم النارى
وهو ينطفىء فى أشعة القمر الذائبة فى الماء الطاهر .
ثم مرت العذراء الملكية فى طريقها
تحلم بأحلام العذراى ، دون أن يصيبها الحب !
ولكننى رأيت المكان الذى سقط فيه السهم
لقد سقط على زهرة صغيرة تنمو فى الغرب
كانت من قبل بيضاء اللون
فأصبحت حمراء من جرح الحب
وتسميها العذارى زهرة البانسية
أحضر لى هذه الزهرة

التى أريتك أعشابها من قبل .
واذا أنزلنا قطرة من رحيقها
على جفن نائم من الرجال أو النساء
وقع فى حب أول من تقع عليه عيناه ،
حينما يصحو ، وهام به بجنون !
أحضر لى أعشاب هذه الزهرة ،
وَعُدْ إلى هذا المكان
بأسرعَ مما يسبح التُّنين
فَرْسَخاً فى البحر !

باك : سأربط حزاما حول الأرض فى أربعين دقيقة !

(يختفى)

أوبرون : إذا جاءنى هذا الرحيق
انتظرتُ تيتانيا حتى تنام
ثم وضعتُ قطرةً منه فى عينيها .
فإذا ما استيقظت
وَقَعَتْ فى حب أول من تراه وطاردته فى جنون
(ولو كان أسداً أو دبا أو ذئباً أو ثوراً
أو غوريلا بشعة أو قرداً كثير الحركة)
ولن أُزيلَ هذا السحرَ من عينيها
(وهذا ممكن إذا وضعتُ فيهما رحيق عُشْبٍ آخر)
إلا إذا أعطتنى الغلام الذى تحتفظ به .
ولكن من هذا القادم ؟

أنا من الجن .. ولا يستطيع أحد أن يرانى .
فَلْأَبْقَ إذن وأسمع حديثهم .
(يدخل ديمتريوس ووراءه هيلينا)

ديمتريوس : قلت لك لا تطاردينى .. أنا لا أحبك .
أين ليساندر وأين هيرميا الجميلة ؟
سأقتل الأول .. وتقتلنى الأخرى !
قُلْتِ لى إنهما هَرَباً إلى هذه الغابة ،
وها قد أتيتُ .. مجنونٌ وسط الغابة ،
لا أستطيع أن أرى حبيبتى هيرميا !
واذن .. ابتعدى عنى .. ولا تطاردينى بعد الآن !

هيلينا : إنك تجذبنى أيها المغنطيس المتحجر !
ومع ذلك فأنت لا تجذب الحديد ،
فإن قلبى كالفولاذ فى ثباته وإخلاصه ،
وإذا تخلّيت عن جاذبيتك ، فلن أستطيع أن أتبعك !

ديمتريوس : هل خدعتك أو أغويتك ؟
هل غازلتك أو امتدحتك ؟
ألم أقل لك بصراحة تامة
إننى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينا : وحتى هذا يزيد من حبى لك .
إننى كلبك الصغير .. وكلما زاد ضربك لى
ازداد تمسحى بك واقبالى عليك .

عاملنى كما تعامل كلبك .
اشتمنى .. اضربنى .. تجاهلنى .. انسنى !
ولكن اسمح لى أن أتبعك فقط ـ ولو لم أكن جديرة بذلك !
ما أفظع معاملتى معاملة الكلاب ،
ولكن ذلك يسرنى أشد السرور !

ديمتريوس : لا تزيدى من كراهيتى لك
فإن رؤيتك تصيبنى بالمرض .

هيلينا : وأنا أمرض حين لا أراك .

ديمتريوس : إنك لَتُهْدِرِينَ حياءك حين تتركين المدينة
وترمين نفسك بين يدى شخص لا يحبك ،
وحين تطمئنين إلى هدأة الليل ،
هذه الفرصة السانحة ، فى هذا المكان المهجور ،
وما توحى به من أفكار خبيثة ،
يمكن أن تؤذى عذراء مثلك ، تدرك قيمة عفافها !

هيلينا : أنا واثقة من عفتك ،
واللّيل الذى أرى فيه وجهك ليس ليلا !
ولست الآن إذن باللّيل ،
ولا أحتاج فى هذه الغابة إلى عالم من الرفاق ،
لأنك بالنسبة لى العالم كله !

وكيف يقال إذن إنى وحيدة ،
والعالم كله هنا ينظر الىّ ؟

ديمتريوس : سوف أهرب منك وأختفى فى الأدغال ،
وأتركك تحت رحمة الوحوش الضارية .

هيلينا : إن أقسى هذه الوحوش لا يعرف قسوة قلبك
فاهرب متى شئت ، واقلب قصة حب (أبوللو) و (دافنى) .
فيهرب (أبوللو) و (دافنى) تطارده .
أى أن الحمامة ستطارد الغول !
والغزال الوديع سيسرع ليلحق بالنمر !
وما فائدة السرعة إذن . .
حين يهرب الشجاع ويطارده الجبان ؟

ديمتريوس : لن أصبر على أسئلتك . . سوف أمضى الآن .
واذا جئت خلفى فتأكدى أننى
سأوذيك فى الغابة .

هيلينا : نعم . . إنك لتؤذينى فى كل مكان . .
فى المعبد . . وفى المدينة . . وفى الحقول . .
تَبًّالك يا ديمتريوس !
إن إساءاتك تَشِينُ جنس النساء كله !
فالمرأة لا تستطيع أن تقاتل
فى سبيل الحب مثل الرجال

بل يجب على الرجل أن يخطب ودها ،
ولم تخلق المرأة لتخطب ودهم .

(يخرج ديمتريوس)

ومع ذلك سأتبعك ، وأجعل من الجحيم جنة .
ولتقتلنى اليد التى أحبها وأعبدها .

(تخرج وراءه)

أوبرون : وداعا أيتها الحورية !
وقبل أن يترك هذه الغابة ،
سيكون هو الذى يجرى وراءك يطلب حبك
وتكونين أنت التى تهرب منه .

(يظهر باك)

هل أحضرت الزهرة ؟ مرحبا أيها الطواف .

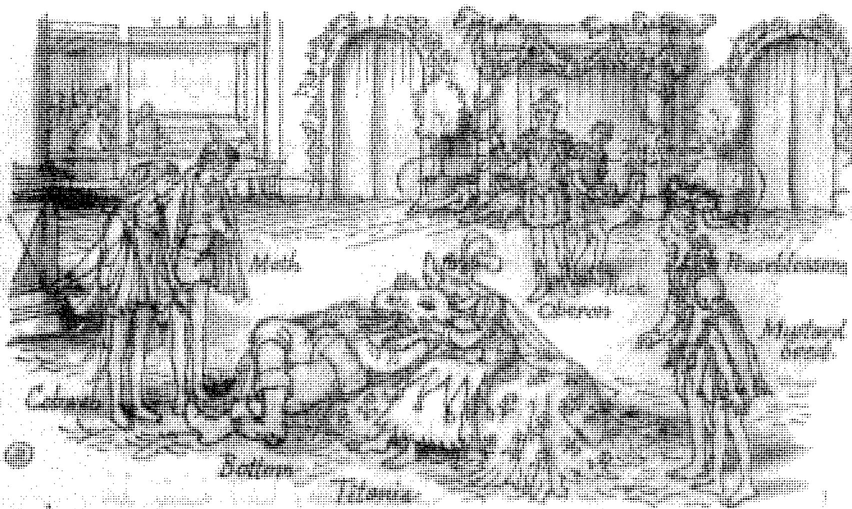
باك : نعم .. ها هى .

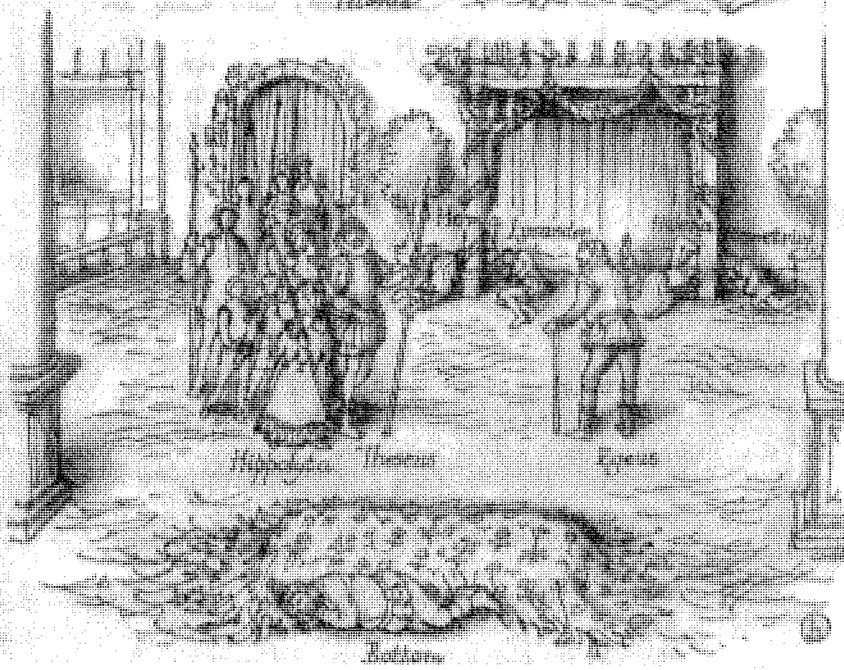
أوبرون : أرجوكَ .. هَيَّا .. هاتِها يا بَاكْ !
فى الغَابَةِ الفَيْحاءِ أعرِفُ رَبْوَةً سِرية
تَنْمُو عَلَيْهَا الزَّهْرَةُ البَرِّيةْ
تَحُفُّها الوُرُودُ والبَنَفْسَجُ الذى يَمِيلُ لِلنَّسيمْ
وفَوْقَها خَمِيلةٌ كثيفةٌ من الرَّيْحَانْ
وحَوْلَهَا بَراعِمُ المِسْكِ العَطِرْ
وأُقْحُوانٌ فارع نَضِرْ

هُنَاكَ تَغْفُو زَوْجَتِى جُزْءاً من اللَّيْلِ الطَّوِيلْ
وَسْطَ الزُّهُورْ
ما بَيْنَ رَقْصٍ وغِنَاءٍ وسُرُورْ
وَهُنَاكَ تُلْقِى الحَيَّةُ الثَّوْبَ القَدِيمْ
كَىْ تَرْتَدِى الجِلْدَ المُزَرْكَشَ بعضُ جِنِّيَاتِهَا !
وَلَسَوْفَ أَعْصِرُ هَذِهِ الزَّهْرَةْ
فَأَصُبُّ بَعْضَ رَحِيقِهَا فى عَيْنِهاَ
كَىْ أُرْسِلَ الأَوْهَامَ ذَاتَ الهَوْلِ فى أَحْلاَمِها
خُذْ بَعْضَهُ أَيْضاً وَطُفْ بالغَابْ
وانْشُدْ فَتَاةً مِنْ أَثِينا فَاتِنَةْ
وتُحِبُّ شَاباً لا يُبَادِلُها الهَوَى
امْسَحْ على عَيْنَيْهِ مِنْ هذا الرَّحِيقْ
حَتَّى يَرَاهَا أَوَّلَ الأَشْيَاءِ عِنْدَ الصَّحْو
وَسَوْفَ تَعْرِفُ الفَتَى مِنْ زِيِّهِ الأَثِينى
هَيَّا اجْتَهِدْ وتَوَخَّ بَعْضَ الحِرْصْ
حَتَّى يَزِيدَ حُبُّهُ لَهاَ عَنْ حُبِّها لَهُ !

باك : لا تَخْشَ شيئاً سَيِّدى . .
فَلَسَوْفَ يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ خادِمُكْ !

(يخرجان)


Moth
Oberon
Bottom
Titania


Hippolyta
Theseus
Egeus
Bottom

المشـــهد الثانى

(تيتانيا وحولها الجنيات)

تيتانيا : هيا .. إلى حلقات الرقص وأغانى الجان
ثم ابتعدن عنى ثلث دقيقة .
حتى يقتل البعض الديدان فى براعم المسك .
ويقاتل البعض الخفافيش وينال أجنحتها
لنصنع معاطف الجنيات الصغيرات .
ويبعد البعض البوم الصيّاح .. الذى ينعق فى الليل
ويحوّم دهشا من الجنيات العجيبة !
أريد الآن أغنية النوم
ثم إلى العمل .. حتى أستريح قليلا .

(تغنى الجنيات)

الجنية الاولى : ابْتَعِدِى أيتُهاَ الحَيَّاتْ
ابْتَعِدِى يا رَقْطَاوَاتْ
ذَاتَ الألْسِنَةِ المَشْقُوقَةْ !
ابْعِدْ يا قُنْفُذُ ياذَا الأشْواكْ
ابتَعِدى يا سِحْلِيَّاتِ المَاءْ !
يا أيتُها الدِّيدَانُ العَمْياءْ
كُفِّى الشَّر !
لاَ تقْتَربِى من مَلِكَتِناَ !

المجموعة : يا بُلْبُل غَنِّى الألحانْ
فى أُنشُودَةِ نَوْمِ الجَانْ
ابعِدْ يا ضُرُّ، ابعِدْ يا شَرُّ، ابعدْ ياسِحْر !
لا تُؤْذِ مَلِيكَتَنَا الحَسْنَاءْ
ولْنُصْبِحْ فى خَيْرٍ وهَنَاءْ !

الجنية الاولى : أيَا عَنَاكِبَ النَّسِيجِ يا نَحِيلَةْ
ابتَعِدِى
يا غَازِلاتِ ذاتِ أرجلٍ طويلة
ابتعدى
ياثُلَّةَ الخَنَافِسِ السَّوْداءِ يا مَرْذُولَةْ
ابتَعِدِى
لاَ تَقْرَبِى مِنَّا قَواقِعَ المَحَارِ يا مَجْدُولَةْ

يا دُودَ بَطْنِ الأرضِ كُفَّ الشَّرْ !

المجموعة : يا بُلْبُل غَنِّى الألْحَانْ
فى أُنْشُودَةِ نَوْمِ الجَانْ

(تنام تيتانيا)

الجنية الثانية : مَلِكَتُنا نامتْ فابْتَعِدُوا عَنْها !
ولْتَمْكُثْ احْدَاكُنَّ لِتَحْرُسَهاَ !

(تخرج الجنيات)

يظهر أوبرون (ويضع الرحيق على جفنى تيتانيا)

أوبرون : أوَّلُ ما تَشْهَدُ عَيْنَاكِ لَدَى صَحْوِكْ
اعْتَبِرِيهِ حَبِيبَ فُؤَادِكِ مِنْ فَوْرِكْ
وأَحِبِّيهِ وعَانِى مِنْ اجْلِه
حَتَّى إنْ يكُ فَهْداً أو قِطًّا أو دُبًّا
أو نَمِراً أو خِنْزيراً ذَا شَعْرٍ شَائِكْ
إذْ يَتَبَدَّى فِى عَيْنِكِ عِنْدَ استِيقَاظِكْ
حُبًّا مَحْفُوراً فى وُجْدَانِكْ
واضْحِى حِين يَمُرُّ قبيحٌ بَشِعٌ بِجِوَارِكْ !

(يختفى)

(يقترب ليساندر وهيرميا)

ليساندر : يا حبيبتى الجميلة ،
لقد خارت قواك من التجول فى الغابة .

والحقيقة أننى نسيت الطريق الصحيح .
فلنسترح هنا يا هيرميا ، إذا أعجبك المكان
وانتظرى حتى تنالى قسطاً من الراحة .

هيرميا : فليكن يا ليساندر ، فلنبحث عن فراشٍ هنا
فسوف أريح رأسى عند هذه الربوة

ليساندر : هذه الربوةُ الناعمةُ سوف تكون وسادةً لنا
قلب واحد ــ فراش واحد ــ وصدران وإخلاص واحد

هيرميا : لا يا ليساندر الكريم ، من أجلى أنا .. يا عزيزى
فلتنم بعيداً قليلاً .. لا تقترب من فراشى كثيراً .

ليساندر : يا حبيبتى .. لابد أن تدركى نيتى البريئة
إن معنى الحب لا يكتمل إلا باجتماع الأحبة .
واعنى أن قلبى مرتبط بقلبك .
ولا نستطيع أن نجعلَ منهما إلا قلباً واحداً ،
صدران ربط بينهما قَسَمٌ واحد ،
أى إخلاص واحدٌ يسكن صدرين ،
وإذن ــ لا تمنعينى من الرقاد بجوارك ،
لأننى حين أرقد جنبك يا هيرميا ..
لن أخون ثقتك !

هيرميا : هذه ألغازٌ جميلة يا ليساندر ..
وأعتقد أن أخلاقى وكبريائى

لا تسمح لى بأن أظن أنك كاذب أو مخادع ،
ولكن ــ أيها الصديق الرقيق ــ بحق الحب والأدب ،
أُرْقُدْ بعيداً عنى .. فنحفظ حياء البشر ،
فإن هذا الانفصال ــ كما قيل بحق ــ
يناسب شاباً فاضلاً .. وعذراء طاهرة .
واذن فلنبتعد ــ ليلة طيبة أيها الصديق !
وليت حبك لا يتغير حتى آخر يوم فى حياتك !

ليساندر : آمين آمين .. أقول ذلك تأكيداً لهذا الدعاء الجميل !
فإذا انتهى إخلاصى فسوف تنتهى حياتى !
هذا هو فراشى .. وليمنحك النوم كل راحة واطمئنان !

هيرميا : فلنغلق عيوننا بعد هذه الأمنية !

(يناماں)

(يدخل باك)

باك : كَمْ فِى أَرْجَاءِ الغَابَةِ طُفْتُ وفَتَّشْت
لكِنْ لم ألقَ فَتًى يُشْبِه أَبْنَاءَ أَثِينا
حَتَّى أَسْكُبَ فى عَيْنَيْه رَحِيقَ الزَّهْرة
كَىْ تُذْكِىَ فى دَمِهِ أشواقَ الحُبِّ الحَرَّةْ
اللَّيلُ هُنا والصَّمْتُ ! لَكِنْ مَنْ ذَاكَ هُنَاكْ ؟
أَفَلاَ يَلْبَسُ مايَلْبَسُ أَبْنَاءُ أَثِينَا ! ؟
هُوَ مَنْ قَالَ عَلَيْهِ أُوبِرُونْ

مَنْ يَتَجَاهَلُ حُبَّ العَذْرَاءُ
بَلْ تلكَ هِىَ العذراءُ اليُونَانِيَّةْ
فِى أَعْمَقِ نَوْمٍ تَحْلُمْ
فَوْقَ الأَرْضِ الرَّطْبَاءِ القَذِرَةْ
مَا أَشْقَاهَا !
لَمْ تَجْرُؤْ أَنْ تَرْقُدَ بِجِوَارِ القَاسِى
مَعْدُومِ الرَّأْفَةِ والهِمَّةْ !
يا وَقِحاً فى عَيْنَيْكَ سَأَسْكُبُ
قُوَّةَ سِحْرِ الزَّهْرَةْ !
أَمَّا عِنْدَ استِيقَاظِكْ
فَلْيَحْرِمْ رَبُّ الحُبِّ النَّومَ مِنَ الإِغْفَاءِ علَى جَفْنِكْ
لا تَصْحُ إذن إلَّا حِينَ أُوَلِّ
إِذْ لابُدَّ الآنَ مِنَ العَوْدَةِ لِلْمَولَى أُوبرون !

(يدخل ديمتريوس وهيلينا تجرى خلفه)

هيلينا : انتظر ولو أنك ستقتلنى يا ديمتريوس الرقيق !

ديمتريوس : آمرك بالابتعاد من هنا .. وبألا تطاردينى هكذا !

هيلينا : وهل تتركنى فى الظلام ؟ لا تذهب أرجوك !

ديمتريوس : انتظرى إذا أردت ، وسوف أذهب وحدى .

(يخرج)

هيلينا : انقطعت أنفاسى فى هذه المطاردة البلهاء !
وكلما ازداد توسلى ، ازداد جفاؤه لى !
ما أسعد هيرميا ، حيثما تكون الآن !
إذ لها عينان فاتنتان جذابتان :
من أين لهما هذا البريق ؟ ليس من الدموع الملحة !
فإن هذه الدموع تجلو عينى أكثر منها !
لا لا ! إننى قبيحة كالدُّب
فالوحوش التى تقابلنى تَفِرُّ خوفاً منى !
ولا عجبَ إذن أن يهرب منى ديمتريوس
كأننى وحش مخيف ! كيف أوحتْ لى مرآتى
الكاذبةُ الخادعة أن أقارِنَ عَيْنَىَّ بِعَيْنَىْ هيرميا النجلاوين ؟
ولكن من هنا ؟ أهو ليساندر ؟ وعلى الأرض ؟
مَيِّتٌ أم نائم ؟ لا أرى أثراً للدم أو الجروح !
ليساندر ! أيها الكريم .. اصْحَ إذا كنتَ حَيًّا !

ليساندر : (ناهضا) بل وأقتحم النيران من أجلك يا حبيبتى !
يا هيلين الشفافة ! ما أمهرَ يد الطبيعةِ التى صَنَعَتْكِ
حتى أرى قلبَكِ من خلال صدرك !
أين ديمتريوس ؟ ما أجدر هذا الاسم الحقير
بالفناء على حد سيفى !

هيلينا : لا تقل هذا يا ليساندر ، لا تقل هذا ،

ولو كان يحب فتاتك هيرميا !
وماذا فى ذلك يا ربى ؟ إن هيرميا ما تزال تحبك
ولك إذن أن تسعد !

ليساندر : أسعد بهيرميا ؟ أبداً .. بل إننى أندم
على الدقائقِ المُمِلَّةِ التى قضيتُها معها .
لا .. ليست هيرميا حبيبتى .. بل هيلينا !
أفلا أتخلَّى عن غرابٍ .. فى سبيل حمامة ؟
إن عقل الانسان يتحكم فى إرادته ،
والعقل يقول إنك أجمل منها !
إن كل حى ينمو حتى يبلغ مرحلة النضج
وقد كنتُ صغيراً ولم أنضجْ وأعرفْ العقلَ إلاَّ الآن !
والآن قد بلغتُ أعلى ذُرى الرُّشْد
فأصبحَ عقلى هو المتحكم فى إرادتى
وهو يقودنى إلى عينيك كى أقرأ فيهما
قصصَ الغرام المكتوبة فى أثمن كتب الحب !

هيلينا : ليتنى لم أولد لأسمع هذه السخرية المريرة !
ومتى كنت أستحق أن تهزأ بى هكذا ؟
ألا يكفى أيها الشاب أننى لم أَجِدْ ـ ولن أَجِدَ أبداً ـ
فى عَيْنَىْ ديمتريوس نظرة عطف واحدة
حتى تجىء أنت فتسخرَ من ضعفى ؟
إنك تظلمنى والله .. بحق الله تظلمنى ..

حين تتوددُ إلى بهذه الطريقة الساخرة !
ولكن وداعاً .. لابد أن أعترف
أننى كنتُ أظنُّ أخلاقَك أرفعَ مما رأيت ..
ما أشد ألم المرأة حين يصدها رجل
ثم يأتى آخر فيسخر منها على هذا الصدود !

(يخرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . فلتظلِّى نائمة يا هيرميا
ولا تقتربى من ليساندر بعد الآن !
إذ أن التُّخَمَةَ بأحلى الأطعمة
تثير فى المعدة أعمقَ كراهيةٍ لها !
والبِدَعُ الدينية التى يَنْفَضُّ عنها الناس
أَشدُّ من يكرهُها من خُدع بها !
وكذلك أنت .. تُخَمَتِى وبدعتى ..
لِيَكْرَهْكِ الجميع .. ولأكن أَشَدَّهُمْ كراهية !
وأنت يا طاقاتى كلها ! فَلْتُوَجِّهى حُبَّكِ وقوتَّكِ
إلى هيلينا .. كَرِّميها واجعلينى فارسَها المخلص !

(يخرج)

هيرميا : (تستيقظ) أدركنى يا ليساندر ! النجدة !
افعل كل ماتستطيع حتى تنتزع هذه الحية الزاحفة
من صدرى ! (تفيق) آه يا ربى !

يا له من كابوس مخيف ! أنظر يا ليساندر !
إننى أرتعد من الخوف ! لقد رأيت فى المنام
ثعباناً ينهش قلبى ، بينما تجلس أنت ،
وتنظر إليه مبتسما ، وهو يلتهم فريسته دون رحمة !
ليساندر ! عجباً ! هل رحل ؟ ليساندر ! سيدى !
عجبا ! ألا يسمعنى ؟ هل رحل بلا صوت أو كلمة ؟
واأسفاه أين أنت ؟ تكلم إن كنت تسمع !
تكلم بحق جميع العشاق ! سيغمى على من الخوف !
لا مجيب ؟ لابد أنك ابتعدت إذن !
سوف أعثر عليك أو أموت فى سبيل ذلك !

(تخرج)

الفصـــل الثالث

المشهد الاول

(تيتانيا ما تزال نائمة ـ يدخل الممثلون : كوينس ، وبوتوم ، وسناج ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلنج)

بوتوم : هل حضر الجميع ؟

كوينس : فى الموعد تماماً . . وهذا أفضل مكان لتجارب المسرحية . إنه مناسب ورائع . سوف تكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وهذه الخميلة حجرة خلع الملابس . وسوف نؤدى المسرحية بالحركة ، تماماً مثل ساعة العرض أمام الدوق .

بوتوم : بيتر كوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثسبى . . أشياء لا يمكن أن تسر ! فأولاً لابد أن يُخرجَ بيراموس سيفَه ويقتلَ نفسَه . وهذا منظرٌ لا تطيقه السيدات . ما قولُك فى ذلك ؟

سناوت : قسماً بالعذراء .. مخيفٌ وخَطِر !

ستار فلنج : أعتقد أننا لابد أن نحذِفَ مشهد القتل . أو نؤجله إلى ما بعد المسرحية !

بوتوم : على الإطلاق ! فلدىَّ حيلةٌ تُسَوِّى الموضوع ! اكتب لى مقدمة . أى برولوج . ويقول البرولوج ما معناه : لن نؤذىَ أحداً بسيوفنا . وأن بيراموس لا يُقْتَلُ فى الحقيقة . ولزيادة الاطمئنان يقول لهم إننى أنا بيراموس لست بيراموس فى الحقيقة بل بوتوم النساج . وسوف يزيل ذلك خوفهم ..

كوينس : فليكن . سنكتب هذه المقدمة فى أبيات من ثمانية مقاطع وستة على التوالى

بوتوم : لا .. زدها مقطعين .. فلتكن ثمانية وثمانية ..

سناوت : والأسد .. ألن يخيف السيدات ؟

ستار فلنج : أخشى ذلك .. بالتأكيد !

بوتوم : أيها السادة .. يجب أن تفكروا فى الموضوع .. إن إحضارَ أسد بين السيدات (وقانا الله !) شىء مرعب فظيع ! فليس بين الحيوانات الضارية حيوان مرعب مثل الأسد الحى . ويجب أن نتدارك المسألة .

سناوت : إذن لابد من كتابة مقدمة أخرى تقول إنه ليس أسداً

بوتوم : بل يجب أن تذكروا اسم الممثل الحقيقى ، ويجب أن يظهر نصف وجهه من خلف قناع الأسد ، ويجب أن يتكلم بنفسه ويقول مامعناه

« أيتها السيدات » أو « أيتها السيدات الجميلات .. أرجو » أو « أطلب إليكن » أو « أتوسل إليكن ألا تخفن ، ولا ترتعشن : حياتى فداءٌ لكُنَّ .. إذا ظننت احداكن أننى جئت إلى هنا أسداً فسأكون آسفا على حياتى نفسها .. لا لا لا .. لست شيئاً من هذا القبيل ، بل أنا رجل مثل باقى الرجال » وبعد ذلك يجب أن يذكر اسمه ويقول بصراحة إنه سناج نجار الأثاث .

كوينس : لِيَكُنْ . سنفعلُ ذلك . ولكن تبقى لدينا مشكلتان . أولاً إدخال ضوء القمر إلى الغرفة .. فأنتم تعلمون أن بيراموس وثسبى يتقابلان فى ضوء القمر .

سناوت : وهل سيكون القمر ساطعاً ليلة تقديم المسرحية ؟

بوتوم : أين التقويم ؟ أحضروا تقويماً ! ابحثوا فى التقويم عن ضوءِ القمر ! ابحثوا عن موعد ضوء القمر !

كوينس : نعم .. سيكون القمر ساطعاً تلك الليلة ..

بوتوم : إذن فلنترك أحد جوانب الغرفة الكبيرة مفتوحاً ، حتى يدخلَ القمر إلى الغرفة التى سنمثل فيها .

كوينس : نعم . أو أن يدخل أحدنا ومعه حُزْمةٌ من الأعشاب ومصباح ، ويقول إنه جاء ليمثل شخصية ضوء القمر . ثم الشىء الآخر . وهو ضرورة وجود حائط فى الغرفة الكبيرة . فالقصة تقول إن بيراموس وثِسْبى كانا يتحادثان من خلال فتحةٍ فى الحائط ..

سناوت : من المستحيل إدخال حائط ــ ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يجب أن يمثل أحدنا دور الحائط . ولْيَضَعْ على نفسه بعض الجبس أو الصلصال أو الجير ليدلَّ على أنه حائط . وليضمَّ أصابعَه هكذا . . حتى يتهامسَ بيراموس وثسبى من تلك الفتحة !

كوينس : إذا كان ذلك ممكناً ، فكل شيء على ما يرام . تعالوا . . اجلسوا هنا واقرأوا أدواركم . . ابدأ أنت يا بيراموس ، وحين تنتهى اذهب واختبىء فى تلك الخميلة . وليدخل كل شخص وفقا لبداية دوره .

(يظهر باك)

باك : من هؤلاء الصعاليك الذين يتصايحون هنا
بجوار مرقد ملكة الجان ؟
إنهم على وشك تمثيل مسرحية ! سأشاهدها إذن !
بل وقد أشترك فى التمثيل ، إذا اقتضى الأمر !

كوينس : تكلم يا بيراموس ! تقدمى يا ثسبى !

بوتوم : (يمثل دور بيراموس)
ثسبى . . إن للزهور الجميلة رائحة عَطِنَةً ــ

كوينس : (ملقنا) عطرة . . عطرة !

بوتوم : (فى دور بيراموس) رائحة عطرة . .
وكذلك فأنفاسك عطرة يا أعز حبيبة يا ثسبى
ولكن اسمعى ! إنى أسمع صوتا !
انتظرى قليلاً وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

باك : لم أر من يمثل بيراموس أغرب من هذا

(يخرج خلف بوتوم)

فلوت : هل أتكلم الآن ؟

كوينس : نعم . . يجب أن تتكلم . . فأنت تعرف أنه ذهب ليعرف، ما هو الصوت الذى سمعه ثم يعود

فلوت : (يمثل تسبى)

يا بِرامُوسْ يا وَضِىءَ الطَّلْعَةِ
زَانَكَ اليَوْمَ بَيَاضُ البَشْرَةِ
مِثْلُ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ الحُلْوَةِ
أَحْمَرُ اللَّوْنِ كَلَوْنِ الوَرْدَةِ
فَوْقَ أَشْواكِ الغُصُونِ النَّضِرَةْ !
يا أَشَدَّ النَّاسِ فى الأرْضِ فُتوناً وشَبَابْ
تَذْرَعُ الأَرْضَ جَمِيلاً سَاطِعاً غَضَّ الإِهَابْ
مُخْلِصاً كالمُهْرِ لا يَتْعَبُ من كَرٍّ وفَرّ
سَوْفَ ألقاكَ بِرامُوسْ عِنْدَ نِينِى . . .
. . . عند هذا القبر !

كوينس : « عند قبر نينوس » يا رجل ! ومع ذلك فليس هذا مكان هذه العبارة ، فهى إجابة على سؤال بيراموس ! لقد قلت كلامك كله مرة واحدة ، دون تقطيع ! ادخل يا بيراموس ، لقد فاتت بداية حديثك وهى « لا يتعب من كر و فر » .

فلوت : آه (يمثل ثسبى)
مخلصا كالمهر لا يتعب من كر و فر !

(يدخل بوتوم من الخميلة وعلى رأسه رأس حمار ووراءه باك)

بوتوم : (يمثل بيراموس)
إنْ كُنْتُ جَمِيلاً يا ثِسْبى العَذْبَةْ
فَأَنَا مِلْكُ يَدَيْكِ الحُلْوَةْ !

كوينس : يا للبشاعة ! يا للغرابة ! هذا مكان مسكون ! هيا بنا . . هيا فلنهرب أيها السادة . . النجدة . . النجدة . .

(يخرج كوينس ، وسناج ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلنج)

باك : فَلَأَتْبَعْكُمْ فى الرَّوْحَاتِ وفى الغُلْوَاتْ
سَأَقُودُ خُطَاكُمْ وأَدُورُ بِكُمْ فى حَلْقَاتْ
فِى الغَابَاتِ وفِى الأَوْحَالْ
فِى الأَشْواكِ وفِى الأَدْغَالْ
أَتَبَدَّى فِى شَكْلِ جَوَادْ
أَوْ كَلْبِ الصَّيْدِ المُنْقَادْ
أَوْ شَكْلِ الخِنْزِيرِ القَاسِى
أَوْ شَكْلِ الدُّبِّ بِلا رَاس
أو فى صُورَةِ نَارٍ تَزْأَرْ
أَصْهَلُ أَنْبَحُ أَقْبَعُ أَجْأَرْ
مِثْلَ الخَيْلِ ومِثْلَ الكَلْبْ

كالخِنْزِيرِ ومِثِلَ الدُّبّ
وَسَأُحْرِقُ كاللَّهَبِ المَجْنُونْ
أَنَّى كُنْتُ وحَيْثُ أَكُونْ !

(يخرج)

بوتوم : لماذا هربوا ؟ هذه ألعوبة يريدون بها إخافتى !

(يدخل سناوت)

سناوت : بوتوم ! لقد تغيرت ! ماذا حدث لرأسك ؟

بوتوم : ماذا ترى ؟ هل ترى رأس حمار؟ إنها رأسك أنت !

(يخرج سناوت ويدخل كوينس)

كوينس : رحمة الله عليك يا بوتوم ! لقد تبدلت !

(يخرج)

بوتوم : هذه حيلة من حيل الأوغاد ، يريدون أن يوهمونى أنى حمار وأن يخيفونى قدر استطاعتهم ! لكنى لن أترك هذا المكان مهما فعلوا . . سأسير هنا وأغنى حتى يسمعونى ويعرفوا أننى لست خائفا . .

(يغنى) :

شُحْرُورُ الغَابَةِ ذو اللَّوْنِ الفَاحِمْ
والذَّيْلِ الأَصْفَرِ فى لَوْنِ الحِنَّاءْ
والبُلْبُلُ غَنَّى بالصَّوْتِ النَّاعِمْ
والصُّفْرَدُ ذُو الأَنْغَامِ الرُّعْنَاءْ

تيتانيا : (تصحو من النوم) من هذا الملاك الذى أيقظنى من فراشى زهورى ؟

بوتوم : (يغنى)
والقُبَّرَةُ أَوْ الحَسُّونُ أو العُصْفُورْ
والوَقْوَاقُ يُغَنِّى باللَّحْنِ المَنْثُورْ
يَتَّهِمُ الرَّجُلَ الفَاضِلَ فى عِرْضِهْ
لَكِنْ مَنْ يَجْرُؤُ أَنْ يُنْكِرَ زَعْمَهْ ؟
طبعاً إذ من ذا الذى يأخذ مثل ذلك الطائر الغبى مأخذ الجد ؟ من ذا الذى يكترث بتكذيب طائر مهما غنى الأغنية التى تمس شرفه ؟

تيتانيا : أرجوك يا ابن البشر الرقيق . . عد إلى الغناء
فإن أذنى سحرتها ألحانك !
وعينى استولت عليها صورتك
وقوة شمائلك الناصعة تثيرنى رغماً عنى
فأقول لك وأقسم إننى أحببتك من أول نظرة !

بوتوم : أعتقد يا سيدتى أنه لايوجد سبب منطقى يدعوك إلى هذا . ومع ذلك فالحق أن العقل والحب لا يجتمعان كثيراً هذه الايام ، وهذا مما يؤسف له ، إذ يرفض كثير من جيراننا الشرفاء أن يوفقوا بينهما ! وهذه فكاهة خطرت لى بهذه المناسبة !

تيتانيا : إن حكمتك فى مثل جمالك !

بوتوم : لست حكيماً ولا جميلاً ! ولو كان لى من العقل ما يعيننى على الخروج من هذه الغابة لكفى . .

تيتانيا : لا تنشد الخروج من هذه الغابة !
بل ستبقى هنا . . شئت أم أبيت !
إننى جنية ذات منزلة سامية
وكل ما ينتمى للصيف يخدمنى !
وأنا أحبك . . فهيا إذن معى
سأعين لك خدماً من الجن
يأتين لك بالجواهر من أعماق البحر
ويغنين لك ، بينا تنام على فراش من زهور ناعمة !
وسوف أطهرك من طينتك البشرية
حتى تطير كأنك عفريت من الهواء !
يا زهرة البازلاء ! يا خيط العنكبوت ! يا فراشة ! يا خردلة !

بازلاء : حاضرة !

خيط العنكبوت : وأنا

فراشة : وأنا

خردلة : وأنا

الجميع : أين نذهب ؟

تيتانيا : أكرموا هذا السيد واعتنوا به .

تواثبوا حوله حين يسير وتراقصوا أمامه .
قدموا له المشمش والتوت الأسود
والعنب الأحمر والتين الأخضر والتوت الأبيض
اسرقوا أقراص العسل من النحل
واجمعوا الشمع من تحت أرجلها واصنعوا منه الشموع
وأضيئوها من عيون الحُباحب الوهاجة
حتى تُرشدوا حبيبى إلى فراشه ثم توقظوه .
واقطفوا أجنحة الفراشات الملونة
حتى تحجب أشعة القمر عن عينيه النائمتين
انحنوا له أيها الجان وحيوه !

بازلاء : مرحباً بك يا ابن البشر !

خيط العنكبوت : مرحباً !

فراشة : مرحباً !

خردلة : مرحباً !

بوتوم : أرجوك يا أصحاب السمو أن ترحمونى ! أتوسل إليك يا صاحب السمو أن تخبرنى من أنت !

خيط العنكبوت : خيط العنكبوت !

بوتوم : أرجو أن أزداد معرفة بك ، يا أستاذ خيط .. وعندما أجرح أصبعى

فسوف تتوثق علاقتى بك . . وأنت أيها السيد الكريم . . ما اسمك ؟

بازلاء : زهرة البازلاء !

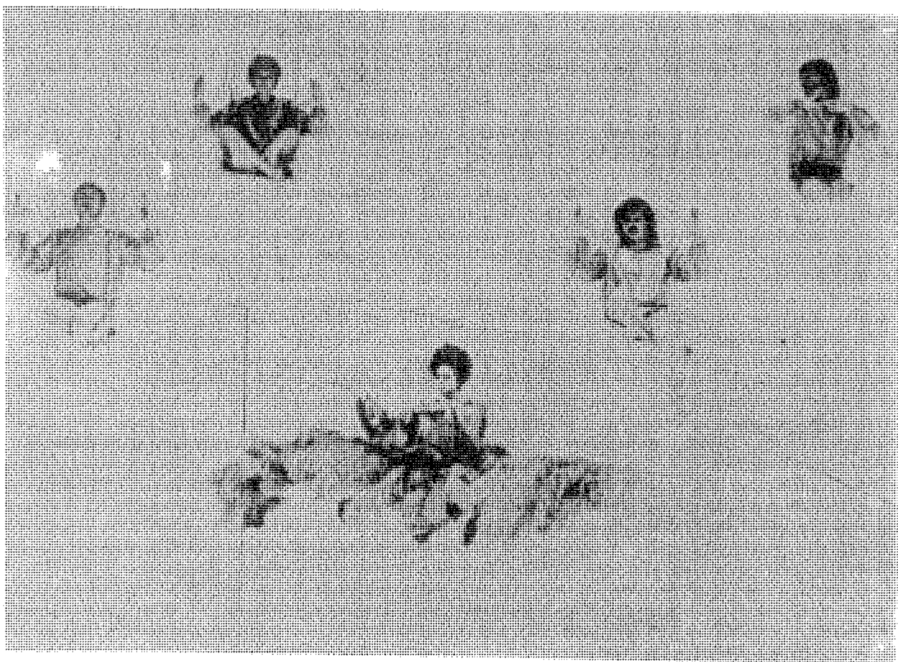
بوتوم : أرجوك أن تنقل تحيتى إلى والدتك برعمة وإلى والدك قرن البازلاء ، وأرجو أن أزداد معرفة بك أنت أيضا يا أستاذ زهرة . . وأنت يا سيد . . ما اسمك لو سمحت ؟

خردلة : خردلة .

بوتوم : يا سيدى الخردل الكريم . . أعرف جيداً مدى صبرك . وأعرف أن الثور ، ذلك الجبان العملاق ، قد التهم الكثيرين من أهل منزلك وأؤكد لك أننى بكيت كثيراً على أقربائك . . وأرجو أن تزداد معرفتى بك يا أستاذ خردل . .

تيتانيا : هيا إلى خدمته جميعا . أرشدوه إلى خميلتى .
يبدو أن القمر يتطلع إلينا بعين دامعة
وحين يبكى تبكى معه كل زهرة صغيرة
كى تنعى اغتصاب احدى العذارى !
اربطوا لسان حبيبى وقودوه فى صمت

(يخرجون)



المشهد الثانى

(يدخل أوبرون ملك الجان)

أوبرون : ترى هل نهضت تيتانيا ؟
ترى ما أول شيء وقعت عليه عيناها
فهامت بحبه وتولهت ؟

(يدخل باك)

ها قد عاد رسولى . ما الأخبار أيها العفريت المجنون ؟
ما أحوالُ اللّيلِ فى هذه الغابة المسكونة ؟

باك : سيدتى تحب أحد الوحوش !
فبالقرب من خميلتها السرية المقدسة
وبينما كانت غارقة فى سباتها الثقيل
تقابل فريق من المهرجين .. من العمال الحرفيين

الذين يكدحون لكسب العيش فى حوانيت أثينا
وانطلقوا يؤدون تجارب مسرحية
يعتزمون تقديمها يوم زفاف ثيسيوس العظيم
وكان بين هؤلاء الصعاليك رجل غبى بليد الحس
يقوم بدور بيراموس فى المسرحية
وعندما ترك المسرح ودخل احدى الخمائل
انتهزت الفرصة السانحة
وركّبت فى رأسه رأس حمار
وسرعان ما جاء دوره
ليجيب حبيبته ثسبى ! فدخل وشاهدوه !
وفى الحال طاروا مثلما يطير الإوز البرى
أمام صياد زاحف ، أو مثل الغربان المختلفة
ذات الرؤوس الحمراء حينما تصيح وتتفرق
إذا سمعت صوت الطلق النارى
وتنطلق فى جنون إلى أجواز الفضاء !
وهكذا طار زملاؤه حين رأوه
وحينما سمعوا وقع أقدامى جعلوا يتعثرون ويقعون
بينما أخذ هو يصيح : « قتلونى » ! ويطلب النجدة من أثينا !
وبعد أن طاش صوابهم وازداد خوفهم ورعبهم
بدأوا يفزعون من كل شىء ، ولو كان جماداً لا يحس ،
فاشتبكت الأغصان والأشواك فى ثيابهم

بعضها فى أكمامهم ، وبعضها فى قبعاتهم ،
لا تدع للمهزومين شيئاً ! وجعلت أقودهم
وهم على هذا الحال من الذعر والتشتت
تاركاً بيراموس المسكين ممسوخا هناك !
وتصادف أن اسْتَيْقَظَتْ تيتانيا فى تلك اللحظة
ووقعت من فورها فى حب حمار !

اوبرون : إنها لصدفة أفضل من تدبيرى !
ولكن هل بَلَّلْتَ عينى الشاب الأثينى
برحيق الحب كما أَمَرْتُكْ ؟

باك : انتهزت فرصة نومه . وانتهيت أيضاً من هذا .
وكانت الفتاة الأثينية إلى جواره
بحيث لابد أن يراها حين يصحو من النوم .

(يدخل ديمتريوس وهيرميا)

اوبرون : هيا اختبىء ، فهذا هو الأثينى

باك : هذه هى الفتاة .. ولكنه ليس نفس الشاب !

(يبتعدان)

ديمتريوس : لماذا تلومين من يحبك كل هذا الحب ؟
لا يستحق الشتم إلا العدو اللدود !

هيرميا : إننى ألومك الآن وحسب ، وإن كنت تستحق الشتم !
وأخشى أن تكون قد فعلت ما يستوجب اللَّعْن !

فإذا كنت قَتَلْتَ ليساندر فى نومه
وبدأت تخوض فى الدم ، فلم لا تغوص
فى بحر الدم وتقتلنى أنا أيضاً ؟
لم يكن وفاء الشمس للنهار مثل وفائه لى !
هل أصدق أنه هرب من هيرميا أثناء نومها ؟
لا .. وإلاَّ صَدَّقْتُ أَنَّ الأرضَ يمكن أن تنشقَّ
فيتسلَّلُ القمرُ من خلالها ، يحملُ الليل إلى النصف الآخر
من الأرض ، ويغضب أخته الشمس !
لابد أنك قتلته ، فهذا شكل القتلة ،
يكسوهم شحوب الموت وجهامته .

ديمتريوس : بل هذا شكل القتلى ! ولا عجب فى ذلك ،
بعد أن نفذت سهام قسوتك المريرة إلى قلبى
ومع ذلك أيتها القاتلة ، فما تزالين مشرقة وضاءة
مثل كوكب الزُّهَرَةِ فى فلكها الوضاء .

هيرميا : ما شأن هذا بحبيبى ليساندر؟ أين هو؟
أرجوك يا ديمتريوس الكريم .. دلنى عليه !

ديمتريوس : بل سأدل كلاب الصيد على جثته !

هيرميا : اذهب إذن أيها الكلب ! أيها الكلب الحقير !
إنك تثيرنى فوق ما تحتمل أى فتاة !
هل قَتَلْتَهُ إذن ؟

لا تعتبر نفسك من الرجال بعد الآن !
أرجوك . . قل الحق ولو مرة واحدة !
قل الحق ولو من أجلى انا !
هل كنت تجرؤ على تَحَدِّيهِ حين يصحو ؟
وهل قَتَلْتَهُ فى نومه ؟ يا للإنجازِ العظيم !
ألا يستطيع ثعبانٌ أو حنش أن يفعل ما فعلت ؟
لقد فعلها ثعبان ! إذ ما عَضَّ ثعبانٌ أحداً
بلسان مشقوق يفوق لسانك خيانة ونفاقا !

ديمتريوس : إن سورة غضبك فى غير محلها
فلست مسؤولاً عن إراقة دم ليساندر
بل وأعتقد أنه لم يمت !

هيرميا : قل لى إذن أرجوك إنه بخير

ديمتريوس وما جزائى إذا قلت ذلك ؟

هيرميا : أعظم جزاء . . ألَّا ترانى بعد اليوم . .
وهكذا أبتعد عن صحبتك الكريهة .
فلا تقابلنى بعد الآن . . سواء كان حياً أو ميتاً !

(تخرج)

ديمتريوس : لا أستطيع أن أتبعها وهى بهذا الغضب
بل سأنتظر هنا قليلاً
وقد يزداد قلبى حزنا على حزن

فالنوم المفلس يدين للحزن بدين كبير
وربما استطاع أن يسدد بعضه الآن
إذا انتظرتُ وقبلتُ العرض الذى يتقدم به

(ينام)

(يتقدم أوبرون وباك)

اوبرون : ماذا فَعَلْتَ يا باك ؟ لقد أخطأت خطأً كبيراً
ووضعت رحيق الحب فى عين حبيب مخلص !
وسوف يؤدى خطؤك ولا شك إلى خيانة حبيب مخلص
لا إلى إخلاص حبيب خائن !

باك : هكذا حَكَمَ القدر ! فبينما يخلص محب واحد
يخون مليون محب ، ويحنثون فى أيمانهم !

اوبرون : انطلق فى الغابة بأسرع من الريح
وابحث عن هيلينا الأثينية
إنها فتاة أضناها الهوى ، فَشَحُبَ وَجْهُها ،
وجَعَلَتْ تزفر الآهات التى تنزف دماها الناضرة !
تَحَايَلْ عليها حتى تَجِىءَ بها إلى هنا
وسوف أضع السحر فى عينيه
حتى يراها عندما تجىء !

باك : أَمْضِى أَمْضِى وانْظُرْ كَيْفَ أَطِيرْ !
أَسْرَعَ مِنْ سَهْمٍ فِى قَوْسٍ تَتْرَى !

(يختفى)

اوبرون : (يضع رحيق الحب فى عينى ديمتريوس)
زَهْرَتَنَا يا حَمْراءَ اللَّوْنْ
يا مَنْ نَفَذَ بِها قَوْسُ الحُبّ
فَلْيَرْسَخْ سِحْرُكِ فى إنْسَانِ العَيْنْ
فَإذَا لَمَحَ حَبِيبَ القَلْبْ
فَلْتُصْبِحْ مُشْرِقَةً مُثْلَى
كالزُّهَرةِ فى الأُفْقِ الأَعْلَى
واذا استَيْقَظْتَ وكانتْ بِجِوارِكْ
فاسْأَلْها أَنْ تُطْفِىءَ حَارِقَ نَارِكْ

(يظهر باك)

باك : يا سُلْطَانَ بِلَادِ الجَانْ
هَا هِىَ هِيلنا مَعَنَا الآنْ
مَعَهَا الشَّابُّ ضَحِيَّةُ جَهْلِى
يَرْجُو أَنْ يَسْعَدَ بالوَصْلِ
أَفَلَا نَشْهَدُ أَغْرَبَ شَىْءٍ يَجْرِى ؟
ما أَحْمَقَ أَبْنَاءَ البَشَرِ !

اوبرون : تَنَحَّ جَانِباً بَلْ واخْتَبِىءْ
دِيمِتْرِيُوسْ يَكَادُ أَنْ يُفِيقْ
مِنْ ضَجَّةِ الأَصْوَاتِ مِنْ حَوْلِهْ
باك : إِذَنْ سَنَشْهَدُ الشَّابَّيْنِ يَخْطُبَانِ وُدَّ وَاحِدَةْ

لابُدَّ أَنْ يكُونَ ذَاكَ مَلْهَاةً بِلاَ نَظِيرْ
ولا يسُرُّنِى شَىْءٌ كَمِثْلِ هَذِه الأُمُورْ
إذَا تَقَلَّبَتْ فِى عَيْنِ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ التَّدْبِيرْ !

(ينتحيان جانبا)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لماذا تظنين أننى أهزأ بك وأسخر من حبك ؟
إن السخرية والاستهزاء لا تدفعان إلى البكاء !
انظرى كيف تدمع عيناى وأنا أقسم على حبك ؟
إن الصدق شيمة مثل هذه الأيمان !
كيف تتصورين إذن أن هذا كله سخرية منك
وهو يحمل طابع الإخلاص الذى يدل على صدقه ؟

هيلينا : إنك تزيد دهاء على دهاء
فعندما يقتل إخلاصك لفتاة إخلاصك لأخرى
فإن الصراع شيطانى ومقدس فى نفس الوقت !
لقد أقسمتَ هذه الأيمان لهيرميا من قبل : هل ستتركها الآن ؟
لا تضع فى الميزان قَسَماً أمام قَسَمْ :
وإلا كنتَ تَزِنُ العَدَمْ !
وإذا وضعتَ أيمانَكَ لها وأيمانَكَ لى فى كَفَّتَىْ ميزان فسوف تتساوى الكَفَّتَانْ ، فهما خفيفتان مثلُ الخُرافات !

ليساندر : لم أكن قادراً على الحكم حين أقسمتُ لها !

هيلينا : ولستَ قادراً ، فيما أرى ، حين تتخلى عنها الآن !

ليساندر : إن ديمتريوس يحبها ولا يحبك . .

ديمتريوس : (يصحو من النوم)

هيلينا ! أيتها الإلّهة ! أيتها الحورية الكاملة المقدسة !
بأى شىء أشبه عينيك يا حبيبتى ؟
بالبلّوْر ؟ إنه معتم إذا قورن بهما !
ما أنضج ما تبدو شفتاك !
إنهما كرزتان مضمومتان فى قبلة
يزداد إغراؤها ! وعندما ترفعين يلك البيضاء
يعتم لون ثلج جبال طوروس الشماء
ببياضها الصافى الجامد الذى تلفحه نسائم الشرق !
دعينى أطبع قبلة النعيم على هذه الأميرة
ذات البياض الناصع !

هيلينا : ما أشد ألمى وعذابى ! هل تآمرتم جميعا
على السخرية منى واللّعب بى ؟
لو كنتما مهذبين وتعرفان معنى الشهامة
لما أسأتما إلى هكذا ! ألا يكفى أنكما تكرهانى ،
وهذا لا شك فيه ، حتى تشتركا فى السخرية منى أيضا ؟
إذا كنتما رجالاً فى الواقع ، كما أنتما فى الظاهر ،
لما عاملتما فتاة كريمة هذه المعاملة !

كيف تحلفان الأيمان وتقدمان العهود
وتسرفان فى الغزل وأنا واثقة من كراهيتكما ؟
إنكما تتنافسان فى حب هيرميا ،
ولكنكما تتنافسان الآن فى السخرية من هيلينا !
ياله من إنجاز رائع يليق برجولتكما
وهو استدرار الدموع من عينى فتاة مسكينة
بسخريتكما ! ما من شهم شريف
يقدم على إهانة عذراء بهذه الصورة
حتى ينفد صبرها كيما يلهو ويلعب !

ليساندر : إنك قاس يا ديمتريوس ! تخل عن قسوتك !
إنك تحب هيرميا ، وتعلم أننى أعلم ذلك !
وها أنذا ، عن طيب خاطر ، ومن كل قلبى ،
أتخلى لك عن حبها ، واترُكْ لى أنت حب هيلينا
التى أحبها وسأظل أحبها حتى الموت !

هيلينا : لم أسمع ساخراً يقول مثل هذا الهراء !

ديمتريوس : ليساندر ! احتفظ أنت بهيرميا ، فأنا لا أريدها !
وإذا كنت أحببتها يوماً فقد زال حبى لها .
لقد رحل قلبى إليها فحل ضيفاً لديها
وهو يعود الآن إلى بيته عند هيلينا
ليقيم إلى الأبد .

ليساندر : عند هيلين ؟ هذا غير صحيح !
ديمتريوس : لا تنكر الإخلاص الذى لا تعرفه
وإلّا كلّفك ذلك كثيراً ودفعتَ الثّمن غالياً !
انظر ! ها هى حبيبتك قادمة ! ها هى حبيبتكْ !
هيرميا : إن ظلام الليل الذى يسلب العين عملها
يزيد من رهافة الأذن ! فبينما يُفْسِدُ حاسة البصر
يزيد قوة السمع أضعافاً مضاعفة .
إننى لم أعثر بعينىَّ عليك يا ليساندر
بل الفضلُ لأذنى إذ هَدَتْنى إلى صوتك
ولكن لماذا تركتنى بهذه القسوة ؟
ليساندر : ولماذا يبقى من يدعوه الحب للرحيل ؟
هيرميا : وأى حب يدعو حبيبى ليساندر إلى الرحيل ؟
ليساندر : حب ليساندر الذى لم يسمح له بالبقاء ــ
حب هيلين الجميلة التى تَزِينُ صفحةَ الليل
أكثر من كل تلك الشهب والنجوم !
لِمَ سَعَيْتِ الىَّ ؟ ألم يَدُلُّكِ هجرى لَكِ
على مدى كراهيتى لك ؟
هيرميا : إنك لا تقول ما بنفسك .. هذا مستحيل !
هيلينا : إنها عضو فى المؤامرة إذن !

أُدْرِكُ الآن أنكم اتفقتم .. أنتم الثلاثة ..
على تدبير هذه الحيلة الخبيثة للسخرية منى
لقد أساْتِ إلىَّ يا هيرميا ، يا ناكرةَ الجميل !
هل تَآمَرْتِ مع هذين الرجلين واتفقت معهما
على إيقاعى فى هذا الشَّرَكِ
لتسخروا منى هذه السخرية الخبيثة ؟
هل نسيتِ أسرارنَا التى تقاسمناها
والعهودَ الأخوية التى قطعناها
والساعاتِ الهنيئةَ التى قضيناها
وكيف كنا نلعن الزمن حين يفرق بيننا
بخطاه اللاهثة ؟ هل نسيت كل شىء ؟
صداقة الدراسة وبراءة الطفولة ؟
كنا نجلس يا هيرميا مثل إلهتين مبدعتين
نخلق بإبرتينا زهرة واحدة
فى نسيج واحد ، جالستين على وسادة واحدة ،
ونغنى أغنية واحدة ، من نفس النغمة ،
كأنما كانت أيدينا وأصواتنا ،
وكأنما كان جنبانا وعقلانا فى جسد واحد !
لقد نشأنا معا مثل كرزتين ملتصقتين
تراهما اثنتين ولكنهما تفترقان فتتوحدان !

توتتان جميلتان على غصن واحد
جسدان ظاهران وقلب واحد
صورتان من نفس اللون
كاللتين تعلوان درع النبالة ،
تنتميان لرجل واحد ، وتعلوهما ريشة واحدة !
هل يرضيك الآن أن تمزقى هذا الحب القديم
باشتراكك مع هذين فى السخرية من صديقتك المسكينة ؟
ليست هذه شيمة الصداقة ، ولا هى شيمة الفتيات !
إن النساء جميعا يلمنك عليه معى
وإن لم يشعر بالأذى إلا أنا وحدى !

هيرميا : يُدْهِشُنى كَلاَمُكِ الغاضب ، فأنا لا أسخرُ منك
بل أَنْتِ التى تسخرين منى !

هيلينا : ألم توعزى إلى ليساندر بأن يسخرَ منى
ويتبعَنى ليتغزلَ فى جمال عينىَّ ووجهى ؟
ألم تجعلى حبيبَك الآخر ديمتريوس
الذى كان منذ لحظات يركلنى بأقدامه
يقول لى أنت إلّهة وحورية ومقدسة ونادرة
وثمينة وسماوية ؟ كيف يقول هذا
لمن يكرهها ؟ وكيف ينكر ليساندر حبك

الذى ملك عليه أقطارَ نفسه
ويأتى ليطارحنى الغرام
إلا بواعز منك وبموافقتك ؟
أنا أُسَلِّمُ بأننى لا أتمتعُ بحُظْوَتِكْ
إذ يتعلقُ بك العشاق ، وليس لى مثلُ حظك
بل إن تعاستى لاحد لها
إذ أُحِبُّ من لا يحبنى !
أفلا تشفقين علىَّ بَدَلاً من السخرية منى ؟

هيرميا : لا أفهم ما تعنين بهذا .

هيلينا : نعم نعم ! استمرى فى خداعى !
تصنّعى نظراتِ الجِدِّ ثم اهزئى بى حين أُدِيرُ ظهرى
تغامزوا ! استمروا فى لعبتكم المسلية !
فسوف يذكر التاريخ لكم هذه اللعبة المحبوكة !
لو كنتم تعرفون الشفقة أو الخلق الكريم أو الأدب
ما جَعَلْتُمْ مِنِّى موضوعَ هذه الألعوبة !
والآن وداعاً ! فالخطأ خطئى إلى حَدٍّ ما
ولسوف أُصَحِّحُهُ حالاً إما بالموت أو بفراقكم !

ليساندر : مهلاً يا هيلين الرقيقة ! اسمعى مبرراتى !
حبيبتى ، روحى ، حياتى هيلينا الجميلة !

هيلينا : عظيم عظيم !

هيرميا : أيها الرقيق لا تسخر منها هكذا !

ديمتريوس : إذا كانت لا تستطيع أن ترجوه فأستطيع أن أجبره !

ليساندر : أنت لا تستطيع إجبار أحد
مثلما لا تستطيع هى أن ترجو أحداً
وقوة تهديداتك لا تزيد عن ضعف توسلاتها
إننى أحبك يا هيلينا وأقسم لك بحياتى . .
أقسم بالحياة التى أضحى بها من أجلك
كى أثبت كذب من ينكر حبى لك !

ديمتريوس : أقول إننى أحبك أكثر منه

ليساندر : مادُمْتَ تقول هذا ــ فَأَثْبِتْ ما تقول بسيفك . .

ديمتريوس : هيا . . أسرع !

هيرميا : ليساندر . . ما نهاية هذا كله ؟

ليساندر : ابتعدى يا حبشية !

ديمتريوس : لا لا . . يبدو أنه سيهرب

(إلى ليساندر)

إنك تصيح وتصرخ كأنك تريد القتال
ولكنك لا تتقدم ! إنك جبان ! تبًّا لك !

ليساندر : اتركينى أيتها القطة ! أيتها الشوكة !
أيتها الكائن الحقير ! لا تمسكينى

وإلا نزعتك عنى كما أنزع حية التفت حولى !

هيرميا : ما هذه الألفاظ الجارحة ؟ ما الذى غَيَّرك
يا حبيبى الرقيق ؟

ليساندر : حبيبك ؟ ابتعدى أيتها التترية السمراء !
ابتعدى أيتها الدواء المر ! ابتعدى أيتها الشراب الكريه !

هيرميا : أفلست تمزح ؟

هيلينا : بلى ! حقا ! وكذلك أنت !

ليساندر : ديمتريوس .. إننى عند كلمتى ..

ديمتريوس : ليتنى مقيد بقيودك !
فأنا أراها قيوداً لينة .
لا .. لن أثق بكلمتك !

ليساندر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أوذيها ؟
أضربها ؟ أقتلها ؟ لا .. لن أسىء إليها
رغم كراهيتى لها !

هيرميا : وهل هناك إساءة أكبر من الكراهية ؟
تكرهنى ؟ لماذا ؟ ويلى منك !
ماذا حدث يا حبيبى ؟ أَفَماَ أزال هيرميا ؟
أَفَماَ تزال ليساندر ؟ أنا لا أزال جميلةً كما كنت !
كنت تُحبنى واللّيل فى أوله
وتركتنى والليل مازال فى أوله ،

ترى هل تركتنى ـ لا قدر الله ـ حقا وصدقا ؟

ليساندر : نعم وأقسم بحياتى على ذلك !
بل ولا أرغب فى رؤيتك بعد الآن !
واذن فلا أمل ولا تساؤل ولاتشكك !
تأكدى مما أقول فهو الصدق بعينه !
أنا لا أمزح فأنا أكرهك حقا وأحب هيلينا حقا !

هيرميا : ويلى ! (إلى هيلينا) أيتها المخاتلة !
أيتها الدودة الخبيثة ! يا سارقة العشاق !
ترى هل تسللت بالليل وسرقت قلب حبيبى ؟

هيلينا : ما أبدع هذا حقا ! أما لديك حياء ؟
أنسيتِ خَفَرَ العذارى ؟ أنسيت معنى الخجل ؟
هل ستجبرى لسانى العفيف
على أن يجيب إجابات طائشة ؟
تَبًّالك أيتها الزائفة ! تَبًّالك أيتها الدُمْية !

هيرميا : «دُمْيَةٌ» ؟ لماذا ؟ فَهِمْت ! هذه هى اللُّعْبَةُ إذن !
لقد رأت أنها أطول منى فاستغلت طولها
فى التأثير عليه ! لقد استغلت جمالها وطول قامتها
فى استلاب قلبه ! قولى . . هل ارتفعت مكانتك لديه
لأننى قصيرة وقميئة ؟ ما أقصرنى أيتها العمود الملون !

تكلّمى ! ما مدى قِصرَى فى نظرك ؟
إن قِصَرى لا يمنعنى من غرس أظافرى فى عينيك !

هيلينا : أرجوكما . . رغم سخريتكما . . أرجوكما
لا تدعاها تؤذينى ! لم اشتم أحداً من قبل
ولست موهوبة على الإطلاق فى التشاجر
وأنا فى جبنى فتاة إلى أقصى الحدود !
لا تدعاها تضربنى ! ربما ظننتما
أننى أستطيع مغالبتها لأنها أقصر منى

هيرميا : « أقصر » ؟ ها هى تقولها مرة ثانية !

هيلينا : هيرميا الطيبة ! لا تكونى بهذه القسوة معى !
لقد أحببتك دائماً يا هيرميا
ودائماً ما حَفَظْتُ أسرارَكِ ، ولم أُسِئ إليكِ أبداً ،
إلا حينَ دَفَعَنى حبى لديمتريوس
على إخباره بهربك إلى الغابة
فجاء من خلفك ، وجئت أنا وراءه يدفعنى حبى ،
ولكنه جعل يُؤَنِّبنى لهذا ، ويُهَدِّدنى بالضرب والركل
بل وبالقتل أيضا !
دعونى الآن أمضى فى هدوء ،
فسأعود إلى أثينا حاملة حماقتى

ولن أتبعكم بعد الآن . دعونى أمضى إذن :
هل ترون مدى سذاجتى وحبى ؟

هيرميا : تفضلى .. مع السلامة ! من ذا الذى يمنعك ؟

هيلينا : قلب أحمق أتركه ورائى ..

هيرميا : مع ليساندر ؟

هيلينا : بل مع ديمتريوس !

ليساندر : لا تخافى .. لن تؤذيك يا هيلينا ..

ديمتريوس : لا يا سيدى .. لن تؤذيها رغم مساندتك لها ..

هيلينا : إنها عندما تغضب تصبح عنيفة جارحة
كانت كالثعلب أيام المدرسة
ورغم قصرها فهى متوحشة

هيرميا : « قصرها » مرة ثانية ؟ لا شيء سوى القصر والضآلة ؟
هل تسمحان لها بشتمى هكذا ؟ سوف أريها .. دعونى لها !

ليساندر : انصرفى أيتها القزم .. أيتها القميئة ..
لقد خلقت من العشب الذى يوقف النمو !
يا خرزة ! يا بندقة !

ديمتريوس : إنك تستميت فى الدفاع عنها
وهى لا تأبه لجهدك !
اتركها وشأنها .. لا تتحدث عن هيلينا ..
لا تدافع عنها .. فاذا كنت تقصد من هذا

أن تظهر لها أى قدر من الحب ، مهما صغر ،
فسوف تدفع الثمن غالياً

لساندر : إنها لا تمنعنى الآن من قتالك
اتبعنى إذن إلى الغابة إذا كنت تجرؤ
حتى نرى من منا الجدير بهيلينا

ديمتريوس : أتبعك ؟ بل سألتصق بك .. خَدًّا بِخَدٍّ !

(يخرج ليساندر وديمتريوس)

هيرميا : أيها الآنسة ! أنت السبب فى هذه المشكلة ..
انتظرى .. لا تعودى الآن !

هيلينا : لم أعد أثق فيك
ولن أظل فى صحبتك اللعينة
ربما كانت يداك أسرع فى الضرب من يدى
ولكن ساقىَّ أطولُ وأقدرُ على الفرار !

(تجرى خارجة)

هيرَميا : أنا حائرة .. ولا أدرى ما أقول ..

(تخرج خلفها)

(يتقدم أوبرون وباك)

اوبرون : هذه نتيجة إهمالك ..
فإما أنك أخطأت كالعادة
أو تعمدت هذه المكيدة !

باك : صدقنى يا ملك الجان .. لقد أخطأت ..
ألم تقل إننى سأعرف الرجل من ملابسه الأثينية ؟
كيف تلومنى إذن على ما فعلت ؟
لقد وضعت الرحيق فى عينى الأثينى !
بل إننى سعيد بما أدى إليه ذلك الخطأ
إذ أن تشاجرهم ملهاة جميلة !

اوبرون : إن هذين العاشقين ، كما ترى ،
يبحثان عن مكان يتقاتلان فيه !
أسرع إذن يا روبين ! اجعل السحب تزيد من ظلام الليل !
واحجب نجوم السماء على الفور
بضباب يهبط على الأرض ويغشاها بسواد
كأنه ظلمة العالم السفلى !
واجعل هذين المتنافسين الثائرين يضلان الطريق
بحيث لا يقابل أحدهما الآخر أو يراه ،
واخدع ليساندر بمحاكاة صوته ،
ثم اجعله يثير ثائرة ديمتريوس بسباب مقذع !
أو فاجعل صوتك يحاكى ديمتريوس فى شتائمه وسخريته !
واحرص على التفريق بينهما حتى يزحف النوم على أجفانهما
نوم شبيه بالموت
أرجله كالرصاص الرازح وأجنحته كأجنحة الخفاش !

ثم ضع رحيق هذه الزهرة فى عين ليساندر
فهو رحيق ذو مزية رائعة
إذ يستطيع بقوته أن يزيل من عينه
آثار الخطأ ، ويعيد بصره إلى سابق عهده
وعند اليقظة ، سيتصور أن ما حدث له
كان رؤيا منام وأضغاث أحلام !
وعندها يعود العشاق إلى أثينا
وقد ارتبطوا برباط لا يقطعه إلا الموت !
وبينما تقوم أنت بهذه المهمة ،
سأتجه أنا إلى زوجتى الملكة
وأطلب منها الغلام الهندى
وبعد ذلك أزيل من عينها أثر السحر
الذى أوقعها فى حب المخلوق الشائه
ومن ثم يعود السلام والوئام !

باك : يا سيد الجان ! لابد من الإسراع فى عملنا
إذ أن شياطين الليل الدائبة
ماضية دون كلال فى تمزيق سحب الظلام
وها هى بشائر ربة الفجر ساطعة
واقترابها يؤذن بعودة الأشباح الشاردة
إلى بيوتها فى المقابر . أما الأرواح الأخرى

تلك التى حلت عليها اللعنة ،
ودُفن أصحابها عند مفارق الطرق ومسايل المياه ،
فقد عادت من قبل إلى قُبُورٍ ينهشها الدود
خشية أن يبزغ النهار فيكشف عارها !
لقد اختارت أن تحيا بعيداً عن النور
ولابد من ثَمَّ أن تصاحب الليل
ذا الجبين الفاحم !

أوبرون : ولكننا أرواح من نوع آخر !
فكم لهوت مع نجمة الصباح العاشقة !
وربما طفت بالغابات مثل حارسها الساهر
حتى تفتحت أبواب الشرق ،
حمراء فى لون النار ،
وتدفقت أشعته الجميلة المباركة على البحر المديد
فأحالت أمواجه الخضراء والمِلْحَةُ ذَهَباً أصفر !
ومع ذلك فلنسرع يا باك ! لا تتأخر !
إذ يجب أن ننتهى من عملنا قبل طلوع النهار !

(يخرج)

باك : نَغْدُو ونَرُوحُ بِكُلِّ مكَانْ !
أَمضى بِهِمَا فى كُلِّ مكَانْ !

يَخْشَانِى مَنْ فِى الرِّيفِ وَوَسْطَ العُمْرَانْ !
ضَلِّلْ هَذَيْن إِذَنْ يا وَلَدَ الجَانْ !
أَحَدُهُماَ قَدْ جَاءَ الآنْ !

(يدخل ليساندر)

ليساندر : أين أنت يا ديمتريوس ؟ أين أنت أيها المتباهى ؟
تكلم حتى أسمعك !

باك : (محاكيا صوت ديمتريوس) هنا أيها الوغد ! سيفى مسلول ومستعد ! أين أنت ؟

ليساندر : سألحق بك فورا . .

باك : اتبعنى إذن إلى أرض منبسطة . .

(يخرج ليساندر كأنما ليدرك صاحب الصوت)

(يدخل ديمتريوس)

ديمتريوس : ليساندر ! تكلم ثانيا !
إنك تفرّ منّى أيها الجبان ! هل عدت للهرب ؟
تكلم ! أين أنت ؟ هل اختبأت فى شجرة ؟
أين تخفى رأسك ؟

باك : أيها الجبان ! هل تفاخر النجوم
وتخبر الأشجار أنك تبغى القتال
ثم تهرب ؟ أقدم أيها الجبان ، يا عَيِّلْ !

سَأُؤَدِّبُك بالعَصا ! فالسيف يتلوث
إذا رفعته عليك !

ديمتريوس : حقا ؟ هل أنت هناك ؟

باك : اتبع صوتى . . لن نثبت رجولتنا هنا !

(يخرجان ـ ثم يعود ليساندر)

ليساندر : إنه يسبقنى ومع ذلك يتحدانى !
وعندما أصل إلى حيث يدعونى
أجده قد اختفى ! الوغد أسرع منى !
لقد أسرعت خلفه ولكنه كان أسرع فى الفرار
حتى وجدت نفسى فى طريق وعر مظلم
فلأسترِح قليلاً هنا (يرقد على الربوة)
أقبل أيها النهار الرقيق
فما أن تشرق أنوارك الخافته
حتى أعثر على ديمتريوس وأنتقم من إساءته إلىّ !

(يدخل باك وديمتريوس)

باك : ها ها ها ! لِمَ لَمْ تأتِ أيها الجبان ؟

ديمتريوس : اثْبَتْ فى مكانك إن كنت تجرؤ!
فأنا أعرف أنك ستهرب ،
منطلقا من مكان إلى مكان

ولن تجرؤ على الثبات أو مواجهتى !
أين أنت الآن ؟

باك : تعال هنا .. فأنا هنا ..

ديمتريوس : لا .. فأنت تسخر منى . سوف تدفع الثمن غالياً
إذا شاهدتُ وجهك فى ضوء النهار !
اذهب الآن إلى حيث تريد
فقد هدّنى الإعياء ولابد أن أستلقى
على هذه الأرض الباردة ! موعدنا فى الصباح إذن !
(ينام)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : أيها الليل المرهق ! أيها الليل الطويل المضجر !
فلتقصر ساعاتك ، ولتشرق الراحة مع الفجر ،
حتى أعود إلى أثينا فى ضوء النهار
بعيداً عمن يكرهون صحبتى المتواضعة !
وأنت أيها النوم ! يا من تغلق أحيانا عين الحزين
اسرقنى لحظة من صحبة ذاتى !
(تنام)

باك : أَهُمْ ثَلاَثَةٌ فَقَطْ ؟
لاَبُدَّ مِنْ أُخْرِى ..
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ زَوْجْ

حَتَّى يَكُونُوا أَرْبَعَةْ ..
والآنَ تَأْتى ِ الرَّابِعَةْ ..
حَزِينَةٌ و غَاضِبَةْ
رَبُّ الغَرَامِ ِ بالأَذَى مَفْتُونْ
إذْ يَدْفَعُ البَنَاتَ لِلْجُنُونْ !

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أعرف هذا التعب من قبل ..
ولم أحزن هكذا من قبل
بلّلتنى الأنداء وجرحتنى الأشواك
ولم أعد قادرة على السير أو الزحف !
لم تعد ساقاى قادرة على تحقيق رغبتى
فلأسترح هنا حتى مطلع الفجر .
فلتحفظك السماء يا ليساندر إذا كانا يعتزمان القتال !

(تنام)

باك : فَلْتَغْفُ هُنَا فَوْقَ الرَّبْوَةْ
أَعْمَقَ غَفْوَةْ
وَسَأُلْقِى ِ فِى عَيْنِ الغَافِى ِ
بِدَوَاءِ العُشَّاقِ الشَّافِى
أَمَّا عِنْدَ الصَّحْوَةْ
فَلْتَفْرَحْ حَقَّ الفَرْحَةْ

بِجَمَالِ عُيُونِ حَبِيبَتِكَ الأُولَى
والمَثَلُ الشَّعْبِيُّ السَّائِرْ
« سَيَعُودُ إلى كُلٍّ حقُّه »
حِينَ تَقُومُ سَيَثْبُتُ صِدْقُهْ
قَيْسٌ سَيَفُوزُ بِلَيْلاَهُ
وَيَعُودُ الماءُ لِمَجْراهُ
لَنْ يَحْدُثَ ما يُفْسِدُ وُدًّا
وَسَيَسْعَدُ كُلُّهُمُ أَبَداً

(يخرج باك)

الفصل الرابع

المشهـد الأول

(مازال ليساندر وديمتريوس وهيلينا وهيرميا نائمين تدخل تيتانيا ملكة الجان مع بوتوم ، ووراءها الجنيات بازلاء ، وخيط العنكبوت ، وخردلة ، والملك أوبرون من خلف الجميع .)

تيتانيا : اجْلِسْ هُنَا . . على فِرَاشِ زَهْرِنَا
حَتَّى أُدَاعِبَ الخُدُودَ الرَّائِعَةْ
حَتَّى أَزِينَ بالوُرُودِ العَطِرَةْ
خُصْلَاتِكَ المَصْفُوفَةَ المُنْسَدِلَةْ
وأَطْبَعَ القُبْلَاتِ فَوْقَ أُذْنَيْكَ الكَبِيرَتَيْن
يا فَرْحَتِي الرَّهِيفَةْ !

بوتوم : أين بازلاء

بازلاء : حاضرة

بوتوم : اهرشى رأسى يا بازلاء . أين المسيو خيط العنكبوت ؟

خيط العنكبوت : حاضر .

بوتوم : مسيو خيط عنكبوت ! أيها المسيو الكريم ! جهز أسلحتك واستعد حتى تقتل لى النحلة التى تقف فوق تلك الشوكة ، وأردافها حمراء ! ثم أحضر لى أيها المسيو الكريم قرص العسل . ولا تجهد نفسك كثيراً فى العمل يا مسيو ! وحذار أيها المسيو الكريم أن ينكسر منك قرص العسل ، فلا أحب أن يغمرك العسل يا سنيور ! أين المسيو خردلة ؟

خردلة : حاضرة .

بوتوم : صافحنى يا مسيو خردل ! أرجوك ! تكفى الانحناءات أيها المسيو الكريم !

خردلة : ماذا تريد ؟

بوتو : لا شىء أيها المسيو الكريم ! سوى مساعدة الفارس الهمام المسيو عنكبوت فى هرش رأسى . لابد أن أذهب إلى الحلاق يا مسيو ، فأظن أن الشعر الكثيف يغطى وجهى . وأنا حمار رقيق ، ما أن أحسن بدغدغة حتى أسرع إلى الهرش !

تيتانيا : هل تود الاستماع إلى بعض الموسيقى يا حبيبى الجميل ؟

بوتوم : إن أذنى موسيقية لا بأس بها . فلنسمع الصاجات والشخاليل .

تيتانيا : أو قل يا حبيبى الجميل ما تريد من الطعام ؟

بوتوم : فى الحقيقة .. قليل من العلف .. أشتهى بعض الشوفان الجاف الممتاز . وأظن أننى أشتهى حزمة من الدريس .. أشتهيها جداً ! فالدريس الجميل .. الدريس اللذيذ ليس له أخ !

تيتانيا : لدى عفريت مغامر سأرسله إلى مخازن السناجب حتى يحضر لك بعض البندق الطازج .

بوتوم : لا لا .. أُفضِّلُ حفنة أو حفنتين من البازلاء الجافة . ولكن أرجوك .. لا أريد أن يزعجنى أحد من رعيتك .. فالنعاس يكاد يغلبنى ..

تيتانيا : فلتنم يا حبيبى وسوف أضمك بين ذراعىَّ .
فلتنصرف كل الجنيات ! ولتتفرق فى كل اتجاه !

(تخرج الجنيات)

هكذا تتعانق أغصان الياسمين وتلتف برقة
حول بعضها البعض ! وهكذا تلتف فروع اللبلابة
حول أفنان شجر الدردار الضخم ،
كأنها الخواتم حول الأصابع !
ما أشد حبى لك ، وما أشد افتتانى بك !

(يناماًن)

اوبرون : (يتقدم)
مرحبا يا روبين الماهر ! أترى هذا المشهد الجميل ؟
لقد بدأت أعطف عليها وأرثى لغرامها !

بعد أن قابلتها منذ قليل خلف الغابة
وهى تبحث عن هدايا جميلة لهذا المغفل الكريه
فشتمتها وخاصمتها فيما فعلت
إذ زَيَّنَتْ خديه اللذين يكسوهما الشعر
بأكاليل من الزهور النضرة العاطرة !
ونظرتُ إلى قطرات الندى التى أحياناً
ما تزين البراعم كأنها حبات اللؤلؤ الصافية
فوجدتها تترقرق فى مآقى الزهيرتين الجميلتين
كأنها عبراتٌ تبكى عارها !
وبعد أن أنَّبتها ولُمْتُهاَ كما أشاء
استعطفتنى بنبراتٍ رقيقة
فطلبتُ منها الغلام وفى الحال
قَدَّمتْه لى وأرسلته مع أحد أتباعها
إلى خميلتى فى أرض الجان
وبعد أن حصلتُ على الغلام سأزيلُ أثر السحر
البغيض من عينيها . هيا يا باك الرقيق !
انزع ذلك المسخ الشائه من رأس الأثينى
حتى إذا استيقظ مع الآخرين
عاد مع الجميع إلى أثينا ،
وبحيث لا يذكر أحد أحداث هذه الليلة

إلا كما يذكر المرء حلما نغّص عليه منامه .
ولكن يجب أنِ أخلّص ملكة الجان من السحر أولاً

(يعصر بعض الاعشاب فى عينى تيتانيا)

فَلْتَعُودِى مِثْلَمَا كُنْتِ بِخَيْرْ
وَلْيَزُلْ فى الحَالِ فِعْلُ السُّحْرْ
إن زَهْراتِ كِيُوبِيدْ
وَبَراعِيمَ دَيَانَا
سَوْفَ تَمْحُو الشَّرْ
قَدْ آنَ يَا مَلِيكَتِى أَنْ تَرْجِعِى لِيَا
الآن وَقْتُ الصَّحْوِ يا تِيتَانِيَا

تيتانيا : (تستيقظ) أوبرون الحبيب ! ماذا رأيت فى منامى ؟
حلمت أننى أحببت حماراً !

اوبرون : وهذا هو حبيبك نائم !

تيتانيا : كيف حدث كل هذا ؟
ما أشد ما تكره عيناى النظر إلى وجهه !

اوبرون : انتظرى لحظة ! روبين ! انزع عنه هذه الرأس !
تيتانيا ! اطلبى الموسيقى ، ولتعزف حتى يغيب هؤلاء الخمسة عن الوعى بأكثر مما يفعله النوم المعتاد !

تيتانيا : فلتعزف الموسيقى ! هيا .. فلتعزف الموسيقى
حتى يغوصوا فى سبات عميق !

(تعزف الموسيقى)

باك : (يزيل رأس الحمار من بوتوم)
والآن عندما تصحو
فلتعد للنظر بعينى رأسك الأحمق !

اوبرون : فليرتفع صوت الموسيقى !
(تُعزفُ ألحانٌ راقصة)
هيا يا مليكتى ! ضعى يديك فى يدى
ولنرقص حتى تهتز الأرض التى ينامون عليها
(يرقص أوبرون وتيتانيا)
أما وقد عاد الوفاق بيننا
فسوف نلتقى فى منتصف ليل الغد
ونرقص احتفالا بالنصر
فى قصر الدوق ثيسيوس
ونباركه حتى يكتب له الهناء والرخاء
وهناك سيتزوج هؤلاء العشاق الأوفياء
مع ثيسيوس فى سرور وحبور

باك : يا مَلِكَ الجَانِ اسْمَعْ وانْظُرْ
إنّى أَسْمَعُ قُبَّرَةَ الفَجْرْ

اوبرون : وإذَنْ نَرْحَلُ يا مَلِكَتَنَا
خَلْفَ ظَلَامِ اللَّيْلِ السَّارِبْ
فى صَمْتِ الأحْزَانِ الحَرَّة

وَلَسَوْفَ نَطُوفُ الأَرْضَ بِأَسْرَعَ مِنْ قَمَرٍ سَيَّار

تيتانيا : هَيَّا يا مَوْلَاىَ بِنَا
فَعَسَى أَنْ تُخْبِرَنى فى رِحْلَتِنَا
كَيْفَ تَأَتَّى لِى فى هَذِى اللَّيْلَةِ
أَنْ أَرْقُدَ وَسْطَ البَشَرِ وأَغْفُوَ فَوْقَ الأَرْضْ !

(يخرج الجان ــ مازال العشاق الأربعة نائمين مع بوتوم على الربوتين)

(تدوى أصوات الأبواق ، ويدخل ثيسيوس ، وهيبوليتا وايجيوس ، ومعهم أتباعهم)

ثيسيوس : فليذهب أحدكم ويحضر حارس الغابة
وبعد أن احتفلنا بعيد الربيع
وما دمنا فى أول النهار
فلتسمع حبيبتى موسيقى كلاب الصيد
أطلقوها فى الوادى الغربى .. أطلقوها الآن !
قلت أسرعوا باحضار حارس الغابة !

(يخرج أحد الاتباع)

سوف نصعد أيتها الملكة الجميلة إلى قمة الجبل
ونسمع اختلاط بموسيقى النباح وأصداءها معاً !

هيبوليتا : أذكر مرة صحبت فيها هرقل وكادموس
فى رحلة لصيد الدببة فى احدى غابات كريت

بكلاب اسبرطية ! لم أسمع فى حياتى
أصواتاً بهذا الغضب الجائح ! إذ بدا لى
أن الأدغالَ والسماواتِ والينابيعَ
وجميعَ الأصقاعِ القريبةِ تصيحُ صيحةً واحدةْ !
لم أسمعْ فى حياتى مثلَ ذلك التنافرِ المتناغمْ
أو ذلك الرعدِ الجميلْ !

ثيسيوس : إن كلابى من سُلالةٍ اسبرطية
أشداقُها ضخمةٌ ولونُها رمليّ ،
وآذانُها عريضةٌ تتدلى فتمسحُ أنداءَ الصباحِ أمامَها !
رُكَبُها منحنية ، والجِلْد فضفاضٌ حول رِقابها
كأنها ثيرانُ ثيساليا ! وهى بطيئة فى الطِّراد
ولكن أصواتَ المجموعة متدرجةُ الأنغام
كأنها الأجراسُ نغمةً تحتَ نغمةً .
لَمْ تُسْمَعْ أنغامٌ أفضلُ من أنغام تلك المجموعة
حين تُنادَى أو حين يُنفخُ لها فى البوق
فى كريت أو فى اسبرطة أو فى ثيساليا
واحْكمى عليها بنفسك ـ ولكن ما هذه الحوريات ؟

ايجيوس : مولاى ! هذه هى ابنتى نائمة هنا
وهذا ليساندر وهذا ديمتريوس وهذه هيلينا
ابنة الشيخ نيدار . يدهشنى وجودهم معاً هنا .

ثيسيوس : لا شك أنهم استيقظوا مبكراً ليحتفلوا
بعيد الربيع . وعندما سمعوا بعزمنا على المجىء
أتوا ليشهدوا الاحتفال . ولكن قل يا إيجيوس :
أليس اليوم موعد إجابة هيرميا
وتحديد اختيارها ؟

ايجيوس : بلى يا مولاى .

ثيسيوس : قل للصيادين إذن أن ينفخوا الأبواق حتى يوقظوهم
(صيحة خلف المسرح ــ أصوات الابواق تدوى ــ يصحو العشاق
وينهضون من رقادهم)
صباح الخير أيها الأصدقاء ! لقد فات
عيد القديس فالنتاين ــ موعد تزاوج الطيور !
ألم تبدأ طيور هذه الغابة فى التزاوج إلا الآن !

ليساندر : عفواً يا مولاى .

(ينحنى العشاق أمام الدوق)

ثيسيوس : أرجوكم . . انهضوا جميعاً .
أعرف أنكما غريمان متنافسان
كيف إذن ساد الوفاقُ الجميلُ هذا العالم
فلم تَعُدْ الكراهيةُ تمنعُ الاطمئنان ،
فنام الإنسانُ إلى جوارِ من يكرهه
ولم يَخْشَ عَدَاوَتَهُ ؟

ليساندر : مولاى . . ستكونُ إجابتى مُضْطربة
إذ مازلتُ بين النوم واليقظة .
أُقسم إننى لا أستطيعُ حتى الآن
أن أَقْطَعَ بما جاء بى إلى هنا . ولكننى أَظُنُّ ـ
إذ سوف أقول الحق ـ الآن تذكرتُ ! نعم !
لقد جئتُ مع هيرميا إلى هذا المكان ، فراراً
من أثينا ، حيث نستطيع تفادى خطر قانون أثينا ـ

ايجيوس : يكفى يكفى يا مولاى ! لقد سمعت ما يكفى !
أطالبُ بتطبيقِ القانون عليه !
كانا يريدان الفِرار ! الفِرار يا ديمتريوس !
وبذلك يُلْحِقان الهزيمةَ بى وبك
فتضيعُ منك زوجتكُ ، وتضيعُ منى طاعتى ـ
طاعتى فى أن تكون زوجتك .

ديمتريوس : مولاى ! لقد أَخْبَرَتْنى هيلين الجميلة بفرارهما
وباعتزامهما الهروب إلى هذه الغابة
فَتَبِعْتُهُما إلى هنا جنوناً
وتَبِعَتْنى هيلين الجميلة حباً !
ولكننى لا أدرى يا سيدى الكريم أى قوة
ـ ولكنها كانت قوة ما ولا شك ـ
أذابت حبى لهيرميا كما تذوب الثلوج

حتى أصبح يبدو لى الآن مثل ذكرى
لعبةٍ تَعَلَّقْتُ بها فى طفولتى !
إن هيلينا تملكُ زِمامَ قلبى ، وإخلاصى ،
وهى قُرَّةُ عَينى ومُتْعَتُها !
وقد كنتُ خطبتُها قبل أن أرى هيرميا
ولكننى تَحَوَّلْتُ عن طعامى كأنما أصابنى المرض
ثم بَرِئْتُ من المرض وعاد ذوقى السليم
فأصبحتُ أشتهى طعامى وأُحِبُّه وأشتاقُ إليه
وَسَأُخْلِصُ له إلى الأبد .

ثيسيوس : أيها العُشَّاق المخلصون ! لقد جَمَعَ القدرُ بينكم !
سوف نسمعُ بقيةَ القصة بعد قليل .
أما أنت يا إيجيوس فأنا أرفض طَلَبَكَ ــ
إذ سوف يرتبط هؤلاء العشاق
برباط القِران الأبدىّ معنا بعد قليل فى المعبد !
وما دمنا قد تجاوزنا ساعَةَ البكور هذا الصباح
فسوف نتجاوزُ اعتزامنا الصيدَ أيضا !
هيا بنا إذن إلى أثينا ، ثلاثةُ عشاق
وثلاثُ عاشقات ، لنقيم حفلاً رائعاً كبيراً !
هيا يا هيبوليتا !

(يخرج ثيسيوس وهيبوليتا وايجيوس واتباعهم)

ديمتريوس : تبدو لى هذه الأحداث بعيدة ضئيلة
ويصعب التمييز بينها
كأنها الجبالُ تبدو على البعد كالسحب !

هيرميا : يُخَيَّلُ إلىَّ أننى أنظرُ بعينين
تفترق بؤرة إحداهما عن الأخرى
بحيث يبدو كُلُّ شىء مزدوجاً .

هيلينا : وأنا كذلك . فلقد عَثَرْتُ على ديمتريوس
كأننى عَثَرْتُ على جوهرة ! فهى فى يدى
ولا تملكها يدى !

ديمتريوس : هل أنت واثقة أننا صَحَوْناً ؟ يبدو لى
أننا مازلنا نائمين ، وأننا نحلم .
هل تعتقدين أنَّ الدُّوقَ كان هنا
وأنه أَمَرَنَا أن نَتْبَعَهْ ؟

هيلينا : نعم . . ووالدى كذلك .

هيرميا : وهيبوليتا !

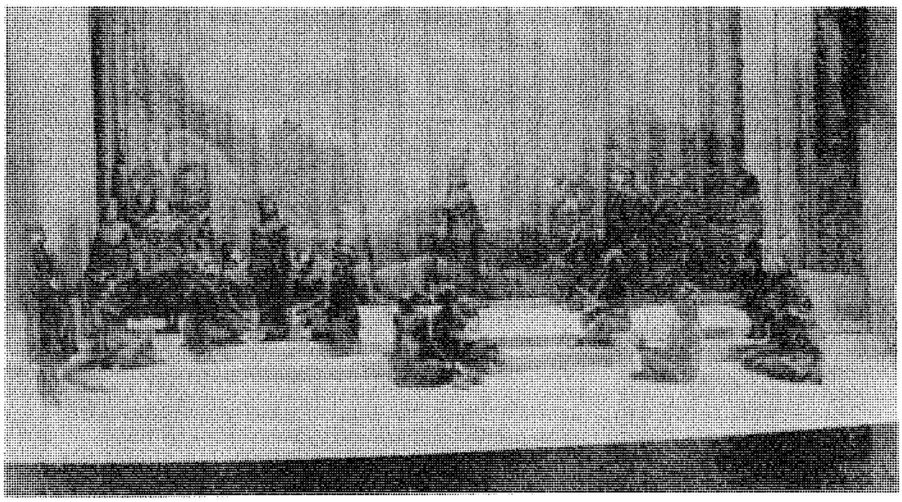
ليساندر : وطلب منا أن نَتْبَعَه إلى المعبد .

ديمتريوس : إذن فلسنا نائمين : هيا نَتْبَعْهُ ،
ونقص أحلامنا على بعضنا البعض فى الطريق .

(يخرج العشاق)

بوتوم : (وهو يستيقظ) عندما يأتى دورى فى الحوار المسرحى نادنى .. وسوف أجيبك . دورى القادم بعد عبارة « بيراموس ياأجمل الناس » . (يتثاءب) آه ! بيتركوينس ! فلوت يا مصلح المنافيخ ! سناوت يا سمكرى ! ستار فلنج ! ياللعجب ! هل هربتم وتركتمونى نائماً ؟ لقد رأيتُ حلماً بالغ الروعة ! لقد رأيتُ مناماً لا يستطيع عقلُ الانسان أن يصفه أو يحكيه ! حِمارٌ من يحاولُ وصف هذا الحُلم ! لقد حَلَمْتُ أننى ــ لا يمكن لإنسانٍ أن يقولَ ماذا كنتُ فى المنام . لقد رأيت أننى ــ وحَلَمْتُ أن لى ــ ولكنَّ من يحاولُ أن يصف ما خُيِّلَ لى أنه لى .. أحمقٌ مأفون لا تستطيع عين الإنسان أن تسمع ، ولا تستطيع أذنه أن ترى ، ولا تستطيع يده أن تشم ، ولا يستطيع لسانه أن يتصور ، ولا قلبه أن يحكى ماذا رأيتُ فى منامى ! سوف أطلب من بيتركوينس أن يكتب مَوَّالاً شعبياً عن هذا الحلم ، وسيكون عنوانه « حلم بوتوم » لأنه لا معنى له . وسأغنيه فى ختام المسرحية أمام الدوق . وربما غَنَّيته عند اكتشاف موت ثسبى حتى تزداد روعتهُ .

(يخرج)



المشهد الثانى

(يدخل كوينس وفلوت وسناوت وستار فلنج)

كونيس : هل سألتَ عن بوتوم فى منزله؟ ألم يَعُدْ حتى الآن؟
ستار فلنج : لم يَسْمَعْ عنه أحد . لا شك أنه قد تَحَوَّلَ ومضىَ !
فلوت : إذا لم يحضرْ فَسَدَتْ المسرحية : هل نستطيع إخراجها بدونه؟

كوينس : مستحيل . لن تجد فى أثينا كُلُّها رجلاً يستطيعُ تمثيلَ بيراموس مثله .
فلوت : إنه أذكى صُنَّاعِ أثينا على الإطلاق .
كوينس : وأحسنهم شكلاً ومظهراً . وصوتُه الرقيقُ لا مَسِيلَ له .
فلوت : تقصد لا « مثيلَ » له ، فالمَسِيلُ – يحفظنا الله – شَىءٌ سيِّء !
(يدخل سناج)

سناج : أيها السادة ! إن الدوق قادمٌ من المعبد ، وقد تزوج اثنان أو ثلاثة من السادة والسيدات معه . فلو كانت مسرحيتنا قد اكتملت لكُتِبَ لنا الثراءُ الوفير .

فلوت : أين أنت يا بوتوم الظريف ! لقد خسر المعاش الذى كان سيتقاضاه طولَ حياته ــ ستة بنسات فى اليوم . لا يمكن أن ينال أقل من ستة بنسات فى اليوم ! أقطعُ ذراعى لو لم يأمر له الدوق بستة بنسات فى اليوم لأدائه دور بيراموس . وهو يستحقها ! لا أقل من ستة بنسات فى اليوم لتمثيل دور بيراموس .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين هؤلاء الأولاد ، أين هؤلاء الأحباب ؟

كوينس : بوتوم ! ما أعظم هذا اليوم ! ما أسعد هذه الساعة !

بوتوم : أيها السادة ! سأروى لكم عجائب وغرائب ! لا تسألونى ما هى ! فلن أكون من أثينا حقاً إذا قلتُ لكم . سوف أقصُّ عليكم كل شىء ، تماماً كما وقع .

كوينس : نريد أن نسمع يا بوتوم .

بوتوم : ولا كلمة واحدة . كل ما سأقوله هو أن الدوق قد تناول طعامه . فَأعِدُّوا ثيابكم ، وأربطةً جيدة لِلُّحىَ ، وأشرطة جديدة للأحذية ، ولنتقابلْ فوراً فى القصر ، وليراجعْ كُلٌّ منكم دورَه ، فالواقع أنه قد وقعَ الاختيارُ على مسرحيتنا ! وعلى أى حال ، فَلْتَكُنْ ملابسُ ثسبى

نظيفة ، ويجب ألا يَقُصَّ من سيقومُ بدور الأسد أظافره ، حتى تبدو كأنها مخالبُ الأسد ! وتذكروا يا أعز الممثلين ألا تأكلوا البصل أو الثوم حتى تكون أنفاسُنا طيبةَ الرائحة ، ولا أشك فى أننى سأسمعهم يقولون « إنها كوميديا جميلة » ـ انتهى ! لن أقول المزيد ، هيا انصرفوا . . هيا !

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشـــهد الأول

(يدخل ثيسيوس وهيبوليتا ، واللوردات وأتباعهم ومن بينهم فيلوسترات)

هيبوليتا : أَسَمِعْتَ يا ثيسيوس الحبيب
هذه الغرائبَ التى يَرويها العُشّاق؟

ثيسيوس : أغرب من أن تصدق
فما صدقت يوما هذه الخرافات القديمة
أو ألاعيب الجان . إن للعشاق والمجانين
عقولاً فوارةً وخيالُهم قويٌ خلاقٌ ،
يرى ما يعجزُ عن إدراكه العقلُ الهادىء .

خُلِقَ المجنونُ والعاشقُ والشاعرُ جميعاً من الخيال :
فأحدُهم يرى من الشياطين ما لا تَسَعُهُ الجحيمُ الشاسعة
ذاكَ هو المجنون . أما العاشق فهو لاَ يقِلُّ خَبَلاً
إذ يرى جمالَ هيلين فى جَبْهَةٍ غجَرِيَّة !
وأما عينُ الشَّاعر التى تدورُ فى حماسٍ رهيف
فهى تهبطُ من السماء إلى الأرض ،
ثم تصعدُ من الأرض إلى السماء ،
وبينما يُجَسِّدُ الخيالُ صورَ المجهول ،
يُشَكِّلُها قلمُ الشاعر ، ويجعلُ لهباءِ العَدَمِ
مكاناً فى الوجودِ ويمنحُه اسماً محدداً .
فالخيالُ القويُّ قادرٌ على هذا الخداع
فإذا أحس ولو بفرحٍ قليل ،
تَصَوَّر مصدراً ما لهذا الفرح ،
واذا تَوَهَّم بعضَ الخوف أثناء الليل
ما أيسرَ أن يتصورَ الشجرةَ دُبًّا مُفْزِعاً !

هيبوليتا : ولكنَّ قصةَ ما حدثَ أثناء الليل بتفاصيلها الدقيقة
والتحول الذى أصاب قلوب الجميع فى نفس الوقت
يشهدُ بأنه ليس صُوَراً من نسجِ الخيال
بل يُشَكِّلُ روايةً متسقة لأحداثٍ وقعت
مهما كانت غريبةً وعجيبة !

(يدخل العشاق : ليساندر وديمتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسيوس : ها قد أتى العشاق . . يغمرهم الفرح والسعادة . .
أسعدكم الله أيها الأصدقاء الكُرماء .
وَلْتَنْعَمْ قلوبكم بالفرح والمزيد من أيام الغرام

ليساندر : فَلْتَزِدْ أفراحك عن أفراحنا
وَلْيَمْشِ السعدُ فى رِكَابِكَ ويُصَاحِبْكَ فى طَعَامِكَ وفِرَاشِكْ

ثيسيوس : والآن ! ماذا سنشاهدُ
من المسرحياتِ الراقصة المُقَنَّعَةِ أو الرقصاتِ
حتى نَقْضِىَ بها على هذه الساعاتِ الثلاث
التى تفصل بين آخر أطباق العَشَاءْ
وموعدِ نومنا كأنها عمرٌ طويل ؟
أين المسئول عادةً عن تنظيم أفراحنا ؟
ماذا أُعِدَّ من احتفالات ؟ أَلَنْ تُقَدَّمَ مسرحيةٌ
نُسَرِّى بها عن عذابِ ساعةٍ من الزمان ؟
أين فيلوسترات ؟

فيلوسترات : (يتقدم منه) حاضر يا ثيسيوس الجبار

ثيسيوس : ما لَوْنُ التَّرفيه الذى أَعْدَدْتَهُ لهذا المساء ؟
مسرحيات راقصة مقنَّعة ؟ موسيقى ؟ كيف سنخدعُ
الوقتَ الكسولَ إلا بالمتعةِ والحُبُور ؟

فيلوسترات : هذا موجزُ ما أعددناه من ألوان اللَّهو

حتى يختارَ سموكم ما تحب أن تشاهده أوّلاً .

(يقدم اليه ورقة)

ثيسيوس : (يقرأ) « معركة القنطروس ، يغنيها خِصِيٌّ من أثينا
على أنغام القيثار » ؟ لا . . لن نستمع إليها ،
فقد رويتُ تلك القصة لحبيبتى ، أثناء تعديد
أمجاد هرقل – قريبى . (يقرأ) « قصةُ الشغب
الذى أحدثته السكارى من عابدات باخوس
وكيف مزقن جسد شاعر من ثراسيا فى هياجهن » ؟
هذا عرض قديم شاهدته عندما عدتُ فاتحاً
آخر مرة من طيبة . (يقرأ) « الحدادُ الذى أقامته ربات الفن التسع
حزناً على وفاة العِلْم
الذى مات أخيراً فى فقر مدقع » ؟
هذا عرضٌ ساخر ، فيه هجاءٌ ونقدٌ لاذع ،
لا يناسبُ حفل الزفاف . (يقرأ) « مشهد
قصيرٌ مُمِل عن الشاب بيراموس وحبيبته ثيسبى ،
مضحكٌ مأسويٌّ إلى حَدٍّ بعيد » – ما هذا ؟
مضحك ومأسوى ؟ مملٌّ وقصير ؟
هذا جَليدٌ ساخن ، وثلجٌ عجيبٌ غريب !
كيف يتفقُ هذان المتنافران ؟

فيلوسترات : إنها مسرحيةٌ يا سيدى طولُها عشرُ كلمات تقريباً

وهى أقصر مسرحية عَرَفْتُها !
ولكنها رغمَ الكلمات العَشْر أطولُ مما ينبغى
مما يجعلُها مُمِلَّة ، فلا توجد فيها كلمةٌ واحدةٌ مناسبة ،
ولا ممثلٌ واحد يناسبُ دورَه .
وهى مأساةٌ يا سيدى الشريف لأن بيراموس ينتحرُ فيها .
وعندما شاهدتُها أثناء التدريباتِ أعترفُ أن
دموعى سالت ، ولكنها كانت من أثر الضحك والقهقهة !

ثيسيوس : ومن يقوم بالتمثيل فيها ؟

فيلوسترات : عمالٌ ذوو أيدٍ خشنة يعملون هنا فى أثينا
ولكنهم لم يُجْهِدوا عقولَهم حتى الآن
إذ أرهقَ كلُّ منهم ذاكرتَه غيرَ المُدَرَّبةِ
حتى يحفظَ دورَه فى هذه المسرحية
لتقديمها فى حفل زفافكم .

ثيسيوس : سوف نسمعها إذن !

فيلوسترات : لا يا سيدى النبيل ! إنها لا تلائمكم !
فقد سمعتُها وهى تافهة ، بل تافهةٌ جِدًّا !
إلا إذا كنتَ تريد الاستمتاع بجهودهم
إذ بذلوا قُصارى طاقاتِهم فحفظوها ،
وعانوا فى ذلك مُرَّ المعاناة ، حِرْصاً على إسعادك !

ثيسيوس : سوف أسمع هذه المسرحية !
لن يعيبَ العملَ شيءٌ إذا أدّاه صاحِبُه
بإخلاصٍ وإحساس بالواجب . اذهب فأحْضِرْهم !
ولْتَجْلِسْ كُلُّ سيدةٍ فى مكانها .

(يخرج فيلوسترات)

هيبوليتا : لا أحب أن يتحملَ البؤساءُ فوق طاقتهم
ولا أن يَهْلِكَ المرءُ حتى يؤدىَ واجبه !

ثيسيوس : لن يحدثَ يا جميلتى شيءٌ من هذا !

هيبوليتا : يقول إنهم لا يستطيعون التمثيل !

ثيسيوس : سنزدادُ كَرَماً إن شكرناهم على مالم يفعلوا !
وتَسْرِيَتُنا هى إدراكُ مراميهم حين يخطئون !
فإذا عجز مسكينٌ عن أداء واجبه
فإن نُبْلَ النفس يقضى بشكره على جُهده
لا على ثمرة هذا الجهد .
إننى حيثما حَلَلْتُ ، وجدت لفيفاً من كبار العلماء
يريدون تَحِيَّتى بِخُطَبٍ أعدُّوها للترحيب بى .
ورأيتهم يَرْتَعِدُون وتشحبُ وجوهُهم ،
وَسَمِعْتُهُمْ يقطعون العبارات ويَتَلَعْثَمُونَ فى إلقائها ،
رغم تَدَرُّبِهِمْ عليها ، خَوْفاً ورهبة ،

ثم يتوقفون فى نهاية الأمر ويَصْمتُون
دون أن يرحبوا بى . ولكن تأكدى
يا حبيبتى أننى رأيت فى صمتهم ترحيباً بى ،
وقرأتُ فى أدبهم وخوفهم أمامى
مثلَ ما اعتدت سماعه من ألسنة الثرثارين
أرباب الفصاحة البذيئة الصفيقة .
فالحبُّ والإخلاصُ الصامتُ يقولان كل شىء
حين يقولان أقل شىء – حسبما أفهم .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : إذا سمح مولاى ! البرولوج مستعد .

ثيسيوس : فليدخل !

(أصوات أبواق تُدَوِّى)

(يدخل كوينس ليلقى افتتاحية البرولوج)

البرولوج : إذا أخطأنا فعذرُنا نوايانا الحسنة
واذن يجب أن تعلموا أننا لم نأتِ لنخطىء
إلا بنوايانا الحسنة . وعرض مهاراتنا البسيطة
هو البداية الحقيقية لغايتنا
اعرفوا إذن أننا لم نأت لنسىء إلى أحد ،
لم نأت لذلك ، إذ أن قصدنا إسعادكم ،
وهذا هو مقصدنا الحقيقى ، كُلُّ شىء فى سبيل إمتاعكم ،

لم نأت إلى هنا ، حتى تندموا على حضوركم ،
لقد حضر الممثلون ، وعندما يمثلون
ستعرفون كل شيء يمكن أن تعرفوه .

ثيسيوس : هذا الممثل لا يعرف تقطيع العبارات

ليساندر : لقد رَكِبَ الافتتاحيةَ مثلما يَرْكَبُ مُهْراً جامحاً ، لا يعرف الوقوف . وهذا درس مفيد يا سيدى ، اذ لا يكفى أن يتكلم المرء ، بل لابد أن يقول كلاماً له معنى .

هيبوليتا : لقد عزف الافتتاحية كما يعزف الطفل على مزماره ، فأخرج أصواتاً غير منتظمة .

ثيسيوس : كانت الافتتاحية مثل السلسلة المعقدة ، حلقاتها كاملة ، ولكنها غير متداخلة ، من الذي سيتلوه ؟

(يدخل عازف البوق ومن خلفه بوتوم فى دور بيراموس وفلوت فى دور ثسبى ، وسناوت فى دور الحائط ، وستار فلنج فى دور ضوء القمر ، وسناج فى دور الاسد)

البرولوج : أيها السادة ! قد تدهشون لهذا العرض ، لم لا ؟
ادهشوا وادهشوا حتى تظهر الحقيقة وتتضح الأمور !
هذا هو بيراموس ، إذا كنتم تريدون أن تعرفوا ،
وهذه الفاتنة هى ثسبى ، بالتأكيد ،
وهذا الذى يحمل الجير والجبس يمثل الحائط ،
ذلك الحائط الشرير الذى يفصل بين العاشقين

ومن خلال فتحة الحائط ، لا يستطيع المسكينان
إلا الهمس . ولايدهش لذلك أحد .
أما هذا الذى يحمل المصباح والكلب وحزمة الأشواك
فهو يمثل ضوء القمر . فإذا كنتم تريدون
أن تعرفوا ، اتفق العاشقان على اللقاء
فى ضوء القمر ، عند قبر نينوس ،
كى يتطارحا الغرام هناك
أما هذا الحيوان الشرس ، واسمه الأسد ،
فقدأفزع المُخْلِصَةَ ثيسبى عندما وصلت أولاً
باللّيل ، فَفَرَّتْ منه ، وأثناء فرارها
سَقَطَ وِشاَحُها ، فَلَطَّخه الأسد الشرير
بالدَّم من فمه . وسرعان ما أتى بيراموس ،
ذلك الشاب الجميل الرشيق ،
فوجد وِشَاحَ حبيبته ثسبى المخلصة قتيلاً
وعندها أخرج سيفه ، سيفه الدَّامى الأثيم ،
وغَرَسَهُ بشهامةٍ فى صدره الدَّامى الفائر !
وكانت ثسبى تنتظر فى ظل شجرة التوت
فانتَزَعَتْ خِنْجَرَهُ وماتت . أما باقى القصة
فسوف يتولى الأسد وضوء القمر والحائط والعاشقان
سَرْدَهُ عليكم فى حديثٍ طويل هنا أمامكم .
(يخرج البرولوج وبيراموس وثسبى والأسد وضوء القمر)

ثيسيوس : ترى هل سيتكلم الأسد ؟

ديمتريوس : لا عجبَ يا سيدى ! لم لا يتكلم أسدٌ واحد بينما يتكلم كثير من الحمير ؟

الحائط : ويحدث فى هذه المسرحية أيضا
أننى ، واسمى سناوت ، أمثل حائطاً
وهو حائط أريدكم أن تتصوروا
أن به فتحة ضيقةً أو شقاً
يسمح للعاشقين ، بيراموس وثسبى ،
أن يتهامسا كثيراً من خلاله فى سرية كبيرة .
وهذه المونة وهذا الجبس وهذا الحجر يبين لكم
أننى أنا ذلك الحائط ، فهذه هى الحقيقة ،
وهذا هو الشق ــ إلى اليمين وإلى اليسار ــ
الذى سيتحدث من خلاله العاشقان الخائفان .

ثيسيوس : هل تتوقع من الجير والليف أفضل من هذا الحديث ؟

ديمتريوس : إنه أذكى جدارٍ سمعته يتحدث يا سيدى .

(يدخل بيراموس)

ثيسيوس : إن بيراموس يقترب من الحائط ــ اسكتوا !

بيراموس : أَيُّهَا اللَّيْلُ كَئِيبَ الطَّلْعَةِ
أَسْوَدَ اللَّوْنِ بَهِيمَ السُّحْنَةِ
أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِى يَأْتِى إِذَا غَابَ النَّهَارْ

أَيُّهَا اللَّيْلُ وَيَالَيْلِى فوا أَسَفَاهُ وَا أَسَفَاهْ
أَيْنَ ثِسْبِى ؟
أَتُرى تَنْسَى وُعُودَ الحُبِّ .. فَا أخذاه
يَا جِدَاراً بَالِغَ الحُسْنِ جَمِيلاً يَا جِدَارْ
أَنْتَ سَدٌّ وَاقِفٌ مَا بَيْنَ مَنْزِلِهَا وَمَنْزِلِي
يَا جِدَاراً بَالِغَ الحُسْنِ جَمِيلاً يَا جِدَارْ
أَيْنَ ذَاكَ الشَّقُّ قُلْ لِى
كَىْ أُشَاهِدَهَا بِعَيْنِى
لَكَ شُكْرِى يَاجِدَاراً ذَا أَدَبْ
وَلْيَصُنْكَ الرَّبُّ مِنْ أَىِّ عَطَبْ

(الحائط يمد أصابعه)

لَهْفَ نَفْسِى مَا أَرَى ؟
لَا أَرَى ثِسْبِى هُنَا !
يَا جِدَارَ الشَّرِّ يَا شَرَّ جِدَارْ
لَمْ أَجِدْ فِيكَ هَنَائِى وحُبُورِى
خَدَعَتْنِى مِنْكَ أَحْجَارٌ هَوَتْ
لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْأَحْجَارِ

ثيسيوس : بما أن الجدار لديه إحساس .. لابد أن يرد على شتائمه .

بيراموس : كلا يا سيدى . لا يجب أن يتكلم الجدارُ الآن . فإن كلمة « الأحجار » هى التى تحدد بداية كلام ثسبى ، ويجب أن تدخل

الآن . ويجب أن ألمحها من خلالِ الجدار . وسوف ترون أن هذا سيحدث كما قلتُ لكم تماما . ها هى قادمة .

(تدخل ثسبى)

ثسبى : جِدَارِى أَنت كَمْ أُسْمِعْتَ أَنَّاتِى وَآهَاتِى
لِحَجْبِكَ حُسْنَ مَحْبُوبِى
وَكَمْ قَبَّلْتُ بالشَّفَتَيْنِ مثلَ الكَرْزِ أَحْجَارَكْ
مُرَصَّصَةً بِفَضْلِ الجِيرِ والأَلْيَافِ فِى دَارِكْ

بيراموس : إِنِّى أَشْهَدُ صَوْتاً ، فَلأَذْهَبْ لِلشَّقِّ إِذَنْ
حَتَّى أَنْظُرَ وَأَرَى إِنْ كُنْتُ سأَسْمَعُ وَجْهَ حَبِيبِى
ثِسْبِى ؟

ثسبى : هَلْ أَنْتَ حَبِيبِى ؟ أَعْتَقِدُ كَذَلِكْ !

بيراموس : قُولِى مَا شِئْتِ فَإِنِّى
أَنَا حَضْرَةُ مَحْبُوبِكْ !
وَأَنَا مِثْلُ لِيمَانْدَرْ
إِخْلَاصِى لَا يَفْنَى أَبَداً !

ثسبى : وَأَنَا مِثْلُ هِيلِينَا . .
حَتَّى تَقْتُلَنِى الأَقْدَارْ

بيراموس : لَمْ يَكُ إِخْلَاصُ شِفَالُوسْ

فِى الحُبِّ لِمَنْ تُدْعَى بُوكْرُوسْ
أَكْثَرَ مِنْ إِخْلَاصِى يَوْماً !

ثسبى : وَكَذَاكَ أَنَا مِثْلُ شِفَا لُوسْ
أُخْلِص لِلْمَدْعُو بُوكْرُوسْ !

بيراموس : أَبْغِى يا ثِسْبِى قُبْلَهْ
مِنْ ثُقْبِ جِدَارِى الأَبْلَهْ !

ثسبى : قُبُلَاتِى ذَهَبَتْ لِلْحَائِطِ لا لِشِفَاهِكْ !

بيراموس : هَلَّا نَتَقَابَلُ فِى مَقْبَرَةِ المَدْعُو نِينُوسَ عَلَى الفَوْرِ ؟

ثسبى : فَوْراً .. لَنْ يَمْنَعَنِى مِنْ ذَاكَ المَوْتْ !

(يخرج بيراموس وثسبى ، كل على حدة)

الحائط : قَدْ فَرَغَ الحَائِطُ ــ ذَاكَ أَنَا ــ مِنْ دَوْرِهْ
وَعَلَيْهِ إِذَنْ أَنْ يَرْحَلَ مِنْ فَوْرِهْ

ثيسيوس : والآن زال الجدار الذى يفصل بين الجارين !

ديمتريوس : لا مناص من ذلك يا مولاى ، فالجدران قادرة على أن تسمع متى شاءت !

هيبوليتا : هذه أسخف مسرحية سمعتها فى حياتى !

ثيسيوس : إن أفضل الممثلين يحاكون الواقع ، فهم ظلال له ، وأسوؤهم يمكن أن يتحسنوا بفضل الخيال .

هيبوليتا : تقصد خيالك أنت لا خيالهم !

ثيسيوس : إن لم نتخيل أنهم أسوأ مما يتصورون ، فربما كانوا ممتازين حقا !
والآن يأتى اثنان من الدواب الظريفة — إنسانٌ وأسد !

(يدخل الأسد وضوء القمر)

الأسد : يَا سَيِّدَتِى يا آنِسَتِى ذَاتَ القَلْبِ المُرْهَفْ
مَنْ تَخْشَى أَصْغَرَ فَأْرٍ وَتَخْشَى فى الشُّرْفَةِ يَزْحَفْ
قَدْ تَرْتَجِفِينَ وتَرْتَعِشِينَ وتَرْتَعِدُ الأَوْصَالْ
إنْ زَمْجَرَ هَذَا الأَسَدُ الضَّارِى أَوْصَالَ وَجَالْ
لَكِنْ فَلْتَعْلَمْ كُلُّ مِنْكُنْ بِأَنِّى نَجَّارْ
وَبِأَنَّ اسْمِى فى الحَقِّ سناج !
وَأُمَثِّلُ أَوْ أَتَقَمَّصُ دَوْرَ هَصُورٍ ضَار
وَكَذَاكَ فَلَسْتُ بِزَوْجَةِ أَسَدٍ أَوْ لَيْثٍ جَبَّار
لَوْ أَنِّى كُنْتُ أَتَيْتُ هُنَا أَسَداً يَسْعَى لِقِتَالْ
لَجَنَيْتُ عَلىَ نَفْسِى وَلَضَاعَتْ رُوحِى فِى الحَالْ

ثيسيوس : حيوان بالغ الرقة حى الضمير !

ديمتريوس : أَفْضَلُ من مَثَّلَ دور حيوان يا سيدى !

ليساندر : إن هذا الأسد ثعلبُ فى شجاعته !

ثيسيوس : وإوزة فى حكمته !

ديمتريوس : لا لا يا سيدى ! إذ لا تستطيع شجاعته أن تهزم حكمته ، بينما يلتهم الثعلبُ الإوزة !

ثيسيوس : لا شك أن حكمته تعجز عن هزيمة شجاعته ، مثلما تعجز الإوزة عن هزيمة الثعلب . لا بأس ! فلنترك لحكمته الفصل فى الموضوع ، ولنستمع إلى القمر !

ضوء القمر : هَذَا الِمْصَباحُ يُمَثِّلُ قَمَراً ذا قَرْنَيْن !

ديمتريوس : الأحرى أن يضع القرنين على رأسه !

ثيسيوس : إنه ليس هلالا ، وقرناه مختفيان فى داخله .

ضوء القمر : هَذَا المِصْبَاحُ يُمَثِّلُ قَمَراً ذَا قَرْنَيْنْ
وَأَنَا أَبْدُو وَجْهَ الإِنْسَانِ الظَّاهِرِ فى البَدْر

ثيسيوس : هذا أكبر خطإٍ وقع فيه ، إذ يجب أن يدخل وجه الإنسان فى المصباح ، وإلا كيف يكون الوجه الظاهر لنا فى البدر ؟

ديمتريوس : لا يستطيع بسبب الشمعة الموقدة فى داخله ، فأنت ترى أنها تكاد تذوى الآن !

هيبوليتا : إنه قمر ممل ! ليته يتغير مثل القمر !

ثيسيوس : يظهر من ضوء عقله الخافت أنه فى طريق المحاق ، ولكن الأدب والمنطق يقتضيان الصبر إلى النهاية .

ليساندر : استمر أيها القمر .

ضوء القمر : كل ما أريد أن أقوله لكم هو أن المصباح هو القمر ، وأننى الوجه الظاهر فى القمر ، وأن هذه الأشواك أشواكى ، وهذا الكلب كلبى .

ديمتريوس : انتظر ! يجب أن يكون هذا كله فى المصباح لأنه يُشَاهَدُ فى القمر . ولكن اسكتوا .. فإن ثسبى قادمة .

(تدخل ثسبى)

ثسبى : هذا قبر نينوس القديم . أين حبيبى ؟

الأسد : (يزأر) هوه . .

(يزأر الأسد ، فتلقى ثسبى بوشاحها وتَفِرُّ خارجة)

ديمتريوس : أحسنتَ الزئيرَ أيُّها الأسد !

ثيسيوس : أحسنتِ الفِرارَ يا ثسبى !

هيبوليتا : أحسنتَ الإضاءةَ أيها القمر ! حقا إن القمر يسطع بضياء باهر .

(الأسد يمزق الوشاح ثم يخرج)

ثيسيوس : أحسنتَ التمزيق أيها الأسد !

ديمتريوس : ثم جاء بيراموس

ليساندر : وهكذا اختفى الأسد !

(يدخل بيراموس)

بيراموس : الشُّكْرُ يَاقَمراً جَمِيلاً مِثْلَ شَمْسٍ مُشْرِقَةْ
شُكْراً إلَيْكَ علَى التَّلأْلُؤِ والسُّطُوعْ
بِأَشِعَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ بَرَّاقَةٍ حَسْنَاءَ فى كُلِّ الرُّبُوعْ
فَبِنُورِهَا سَأَرَى مَلاَمِحَ وَجْهِ ثِسْبى المُخْلِصَةْ
لَكِنْ صَبْراً ! يا لَلْغَمِّ !
أبْصِرْ يا فَارِسُ يا مِسْكِينْ
مَاذَاكَ الحُزْنُ الصَّارِخُ والهَمّ ؟
عَيْنَاىَ انْظُرْنَ تَأَمَّلْن
كَيْفَ تَأَتَّى ذَاكَ إِذَنْ ؟

مَحْبُوبِى الرَّائِعَ يا قُرَّ العَيْنْ !
هَلْ ذَاكَ وِشَاحُكِ حَقًّا
واَهاً ! هَلْ لَطَّخَهُ الدَّمْ ؟
يَا آلِهَةَ الغَضَبِ الضَّارِى هُبِّى
يَا أَقْدَارُ تَعالِى
مَزِّقْنَ خُيُوطَ حَيَاتِى
احْكُمْنَ وهَشِّمْنَ .. اقْتُلْنَ ودَمِّرْنْ !

ثيسيوس : إن هذا الانفعال ، وموت صديق عزيز ، يمكن أن يكسو الوجه ملامح الحزن !

هيبوليتا : أقسم أننى أرثى للرجل !

بيراموس : فَلأَسأَلْ الطَّبِيعَةَ الَّتى أَتَتْنَا بِالأُسُودْ
كَيْفَ أَتَيْتِ بِالأُسُودِ لِلْوُجُودْ ؟
حَتَّى يَجِىءَ غَادِرُ النَّجِيزَةِ
فَيَسْلُبَ الحَيَاةَ مِنْ حَبِيبَتِى ؟
وَهْىَ الَّتى ـ لاَ لاَ ـ
بَلْ تِلْكَ مَنْ كَانَتْ
أَحْلَى نِسَاءِ الأَرضْ !
كَانَ الحَنَانُ رُوحَهَا
غرَامَهَا وطَبْعَهَا

وَالنُّورَ فِى عُيُونِهاَ
يَا أَيُّهاَ الدَّمْعُ اتَّقِدْ
يَا أَيُّهاَ السَّيْفُ اسْتَعِدّ
فَلْتَخْتَرِقْ صَدْرِى هُناَ
أَىْ فِى يَسَارِ الصَّدْرِ عِنْدَ القَلْب
وَهَكَذا أَمُوتُ هَكَذا وَهَكَذا !

(يطعن نفسه)

وَالْآنَ قَدْ قَضَيْتُ
الآنَ قَدْ مَضَيْتُ
الرُّوحُ فِى السَّمَاءْ
قَدْ آنَ لِلِّسَانِ أَلَّا يَنْطِقاَ
وَآنَ لِلأَقْمارِ أَلَّا تُشْرِقَا

(يخرج ضوء القمر)

وَالْآنَ مُتْ مَوْتاً وَمَوْتاً . . ثُمَّ مَوْتاً ثُمَّ مَوْتاً !

(يموت)

ديمتريوس : كم ميتة تلك ؟ إنه رجلٌ واحد وتكفيه ميتة واحدة !

ليساندر : بل أقل من واحد ، فلقد مات وأصبح لا شىء .

ثيسيوس : ربما أدركه طبيبٌ جَرَّاحٌ فشفاه ، فاتضح أنه حمار !

هيبوليتا : لماذا خَرَجَ ضوءَ القمر قبل أن تعود ثسبى وتعثر على حبيبها ؟

ثيسيوس : ستراه فى ضوء النجوم .

(تدخل تسبى)

ها قد أتَتْ ، وسوف تنهى المسرحية بالبكاء عليه .

هيبوليتا : أعتقد أنها لا بمكن أن تنعى هذا البيراموس فى خطاب طويل ، أرجو أن توجز القول .

ديمتريوس : إنهما متساويان فى كفتى الميزان ، وربما رَجَّحَتْ شعرةٌ واحدة أحدهما على الآخر — سواء إن كان بيراموس يُعَدُّ رَجُلًا (أعاذنا الله) أو كانت تسبى تُعَدُّ امرأةً (وقانا الله) !

ليساندر : أنظر . . لقد لَمَحَتْه بالفعل بعينيها الجميلتين .

ديمتريوس : ولهذا فهى تتأوه وتشكو — أى —

تسبى : أَغَفَوتَ يَاحِبِّىَ وَنِمْتْ ؟
هَلْ مُتَّ يا قُمْرِيَتى هَلْ مُتّ ؟
قُمْ يَا بِيرَامُوس قُمْ
انْطِقْ تَكَلَّمْ أَنْتَ أَبْكَمْ ؟
هَلْ مُتَّ حَقاً . . مُتّ ؟
لَابُدَّ مِنْ قَبْرٍ يُوَارِى فِتْنَةَ العَيْنَيْن
وَشُحُوبَ لَوْنِ الأُقْحُوَانْ
فى الشَّفَتَيْن
بَلْ واحْمِرَارِ الأَنْفِ مِثْلَ الكَرَزْ

ثُمَّ اصْفِرَارِ الوَجْنَتَيْنْ
كَأَنَّهاَ الزَّنَابِقْ
لِيَبْكِ كُلُّ عَاشِقْ
لَقَدْ ذَهَبْنَ كُلُّهُنَّ .. كُلُّهُنَّ !
قَدْ كَانَتْ العَيْنَانِ خَضراَوَيْنِ كَالكُرَاتْ !
أَقْبِلْنَ يَا رَبَّاتِ أَقْدَارِ المِحَنْ
ثَلاَثَةٌ لَهُنَّ أَيْدٍ نَاصِعَاتٍ كَاللَّبَنْ
اغْمِسْنَهَا فى الدَّمْ
قَدْ كَانَ عُمْرُ الشَّابِّ مربوطاً بِخَيْطٍ مِنْ حَرِيرْ
فَقَصَصْنَهُ من الزَّمَنْ !
الآنَ كُفَّ يا لِسَانُ عَنْ كَلاَمِكْ
ثم انْطَلِقْ سَيْفَ الوَفَاءِ فى زِمَامِكْ
ولْتَخْتَرِقْ صَدْرِى هُنَا

(تطعن نفسها)

يَا أَصْدِقَاءُ إلىَ الوَدَاعْ
نَفْسِى مَضَتْ بَلْ وانْتَهَتْ
وإذَنْ وداَعاً فى وَدَاعٍ فى وَدَاعْ !

ثيسيوس : مازالَ ضوء القمر والأسد على قيد الحياة .. حتى يقوما بدفن الميتين .

ديمتريوس : وكذاك الحائط ايضا .

بوتوم : (ناهضا) لا . . بالتأكيد ! لقد زال الحائط الذى كان يفصل بين أبويهما . (ينهض فلوت) أتُفَضِّلون سماع الخاتمة من الإبيلوج أم سماع رقصة ريفية بين اثنين من فرقتنا ؟

ثيسيوس : انسوا الخاتمة أرجوكم ، إذ لا تحتاج هذه المسرحية إلى اعتذارات ! بل لا يمكن الاعتذار عنها ، فاذا مات جميع الممثلين لم يبق من نلومه على تقديمها ! أما إذا كان المؤلف قد قام بدور بيراموس ثم شنق نفسه بحزام ثسبى ، لأصبحت مأساة جميلة ! وهى كذلك حقاً ! وأداؤها متميز ورائع ! ولكن هَيّا . . أرونا الرقصة الريفية وانسوا ذلك الإبيلوج تماماً !

(يدخل كوينس وسناج وسناوت وستار فلنج ، ويرقص اثنان منهم رقصة شعبية . ثم يخرج الصناع جميعاً ، بما فيهم فلوت وبوتوم)

ثيسيوس : هَذَا لِسَانُ اللَّيْلِ مِنْ حَدِيدٍ يُعْلِنُ انْتِصَافَهُ
فَلْنَتَّجِهْ يا مَعْشَرَ العُشّاقِ لِلْفِرَاشْ
الآنَ هَبَّ الجَانُ مِنْ رُقَادِهِمْ أو كَادُوا !
لَرُبَّماَ مَكَثْنَا فى الفِرَاشِ بَعْدَ هَدْأةِ الضُّحَى
لِأنَنّاَ أَطَلْنَا اللَّيْلَةَ السهر !
بَلْ إنَّ هَذِى المَسْرَحيَّةَ السَّخِيفَة
قَدْ سَارَعَتْ مِنْ وَقْعِ أَقْدَامِ الزَّمَنْ
فَلَمْ نُحِسَّ بانْقِضَاءِ اللَّيْل !

إلىَ الفِرَاشِ كُلُّنَا يا أَصْدِقَاءْ
وَلْيَسْتَمِرَّ الاحْتِفَالُ أُسْبُوعَيْن
فى الصَّخْبِ والقُصُوفِ كُلَّ لَيْلَةْ
والفَرْحِ والحُبُورِ كُلَّ لَيْلَةْ !

(يخرجون جميعا)

(يدخل باك)

باك فى هَذِى اللَّحْظَةِ يَزْأَرُ أَسَدٌ جَائِعْ
أو يَعْوِى الذِّئْبُ إلى البَدْرِ السَّاطِعْ
وَيَغُطُّ الفَلَّاحُ المُتْعَبُ فى نَوْمِهْ
إذْ أَرْهَقَهُ الْعَمَلُ الشَّاقُّ بِيَوْمِهْ
الآنَ تَوَهَّجَ ما يَخْبُو مِنْ جَمَرَاتٍ مَحْمُومَةْ
والبُومَةُ تَنْعَقُ نَعْقَاتٍ عَالِيَةً مَشْئُومَةْ
يَذْكُرُ مَعَهَا التَّعِسُ الرَّاقِدُ مِنْ مَرَضٍ أَضْنَاهْ
شَكْلَ الأَكْفَانِ وشُؤْمَ البُومَةْ !
فى هَذَا الوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ الحَالِكْ
تَفْتَحُ كُلُّ قُبُورِ المَوْتَى الأَبوابَ علَىَ مِصْرَاعَيْها
كَىْ تَخْرُجَ مِنْهَا الأَشْبَاحُ طَلِيقَةْ
تَتَهَادَىَ فى طُرقَاتِ الجَبَّانَةْ
أَمَّا نَحْنُ الجَانْ ،
فَنَفِرُّ مِنَ الشَّمْسِ الوَضَّاءَةِ

مِثْلَ الحُلْمِ وخَلْفَ الظُّلْمَةْ
مَعَ فِرْقَةِ هِيكَاتْ
وَلَهَا مِنْ أَشْكَالِ الوَجْهِ ثَلاثَةْ !
إِنَّا نَحْنُ الجَانْ
نَلْهُو أَوْ نَلْعَبُ فِى كُلِّ مَكَانْ
لَنْ يُزْعِجَ فَأْرٌ وَاحِدْ
هَذَا البَيْتَ المَبْرُوكَ بِأَمْنٍ وَأَمَانْ
وَلَقَدْ أُرْسِلْتُ بِهَذِى المِكْنَسَةِ الآنْ
كَىْ أَكْنِسَ أَىَّ تُرَابْ
يَبْقَى خَلْفَ البَابْ

أوبرون : فِى أَرْجاءِ المَنْزِلِ بُثُّوا الأَضْوَاءَ اللألاءة
بِجِوَارِ الجَمْرِ الخَامِدِ والجَمْرِ الغَافِى
هَيَّا يا أَرْوَاحَ الجِنِّ ويا جِنِّيَّاتِهْ
نَتَوَاثَبُ كالطَّيْرِ مِنْ الشَّوْكِ الخَافِى
رَدِّدْنَ أَغَانِى الزَّفَّةْ !
وارقُصْنَ مَعِى رَقْصَ الخِفَّةْ !

تيتانيا : جَرِّبْ قَبْلَ الرَّقْص
إِلْقَاءَ الأُغْنِيَةِ المَحْفُوظَةْ
لَوِّنْ بالأَنْغَامِ كَلَامَ النَّصِّ !

وَلْتَتَشَابَكْ أَيْدِينَا
بِرَشَاقَةِ أَهْلِ الجِنّ
وَنُغَنِّى وَنُغَنِّى فَنُبَارِكَ هَذَا القَصْر !

(اوبرون يقود رقصة الجن وغناءهم).

اوبرون : هَيَّا الآنَ وَحَتَّى الفَجْرْ
هِيمُوا فِى أَنْحَاءِ القَصْرْ
هَيَّا ! هَيَّا !
لِفِرَاشِ عَرُوسَتِنَا المُثْلَى
لِنُبَارِكَهُ ونُبَارِكَهَا
وَلْيَخْرُجْ مِنْهُ الأَبْنَاءْ
لِلأَبَدِ جَمِيعاً سُعَدَاءْ
وَلْيُخْلِصْ كُلُّ العُشَّاقْ
فِى الحُبِّ وَتَبْقَى الأَشْوَاقْ
وَلْتَبْعُدْ أَخْطَاءُ يَدِ الخِلْقَةِ
عَنْ ذُرِّيَتِهِمْ جَمْعَاء !
وَلْتُبْعِدْ عَنْ أَجْسَامِهِمُو
تِلْكَ البَثَرَاتِ الشَّوْهَاءْ
أَوْ أَىَّ نُدُوبٍ أَوْ شَامَاتْ
مِمَّا يُكْرَهُ فِى الأَبْنَاءْ
يا أيتُها الجِنِّيَّاتْ

احْمِلْنَ نَدَى الحَقْلِ القُدْسِى
بَارِكْنَ بِهِ كُلَّ الحُجُرَات
فِى القَصْرِ وَفِى كُلِّ الأَرْجَاء
وَلْيَهنأْ صَاحِبُ هذَا القَصْرْ
بِالسِّلْمِ عَلَى مَرِّ الدَّهْرْ
هَيَّا بِنَا هَيَّا بِنَا !
وَلْنَتَفَرَّقْ يَا جَمْعَنَا !
عِنْدَ الفَجْرِ فَقَابِلْنَنَا !

(يخرج الجميع ما عدا باك)

باك : (للجمهور) إنْ كُنَّا نَحْنَ ظِلاَلَ الكَوْنِ أَسَأْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا
فَسَيَكْفِى أَنْ يَتَخَيَّلَ كُلٌّ مِنكُمْ
أَنَّ النَّوْمَ طَوَاهُ هُنَا
وَرَأَى مَا شَاهَدَ فِى الأَحْلاَمْ
يَكْفِى ذَاكَ لإِصْلاَحِ الأَحْوَالْ
فَالمَوْضُوعُ ضَعِيفٌ فَارِغْ
لَمْ يُثْمِرْ إِلاَّ حُلْماً !
يَا سَادَتَنَا الكُرَمَاءْ
أَرْجُو أَلاَّ تَنْحُوا بِاللاَّئِمَةِ عَلَيْنَا
وَلَسَوْفَ يُؤَدِّى الصَّفْحُ إِلى إِحْكَامِ الصُّنْع
وَثِقُوا ، ثِقَتِى فِى اسْمِى ،

أَمَّا إِنْ كُنَّا نِلْنَا بَعْضَ نَجَاحٍ بالصُّدْفَةْ
وَنَجَوْنَا مِنْ سُخْرِيَةِ الجُمْهُورِ بِنَا
فَلَسَوْفَ نُكَافِحُ حَتَّى نَتَحَسَّنْ
فِى أَقْرَبِ وَقْتْ !
لَنْ يَكْذِبَ أَبَداً بَاكْ !
والآنَ مَسَاءُ الخَيْرِ لِكُلٍّ مِنْكُمْ !
إِنْ كُنَّا أَحْبَاباً فَأُرِيدُ التَّصْفِيقَ العَارِمْ
وَسَيَدْفَعُ روبينُ التَّعْوِيضَ اللاَّزِمْ

(يخرج)

ســــتار الختـــام

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩١٧/١٩٩٢

ISBNN 977- 01- 3107- 5